سيدة سوريا

شهرية مستقلة تعنى بالمرأة السورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

نيسان ٢٠١٤ / العدد (٤)

بسمة قضماني
ضاقت مساحات التحرك أمام الشعب السوري

سلام كواكبي
المرأة في النزاعات المسلحة سياسياً واقتصادياً

لقاء:
-الدكتورة تغريد الحجلي وزيرة الثقافة وشؤون الأسرة في الحكومة المؤقتة
- ياسمين بنشي بعد ظلم النظام تنصفها محكمة شرعية وتبرئ ساحتها

تحقيق:
حمص مجدداً.. كيف لهذه الأرض الصغيرة أن تحملكم

العناوين:

افتتاحية

حمص مجدداً، كيف لهذه الأرض الصغيرة أن تحملكم
بهزاد حمو

غازي عنتاب، محطة سورية أخرى
سلطان جلبي

وزيرة الثقافة وشؤون الأسرة في حوار مع سيدة سوريا

معركة الأنفال.. صامدون هنا
نور مارتيني

المرأة في النزاعات المسلحة سياسياً واقتصادياً
سلام كواكبي

بعد ظلم النظام ياسمين بنشي تنصفها محكمة شرعية وتبرئ ساحتها
حاورتها سيدة سوريا

نساء سوريا.. لا جنسية لأبنائكن
ديما موسى

أثر السياسة في قوانين الأحوال الشخصية
سحر حويجة

صفحة طبية
هادية الخطيب

اضطراب مابعد الصدمة
رشا غيبور

ضاقت مساحات التحرك أمام الشعب السوري
بسمة قضماني

المجتمع العربي ثمن مستحق للحرية أم استعمار جديد؟؟
سمر علوش

اللاجئات السوريات «شقاء بسبب الأمراض النسائية والتوتر
ترجمة: مراد عيد

تطور دور المرأة في القرن العشرين
ج٢/١: في السياسة وحق الاقتراع
ترجمة: د. إنعام شرف

قراءة سورية لكتاب «اللغز الأنثوي»
ضحى العاشور

السوريون .... من الطفولة إلى الرجولة
زياد إبراهيم

آذار والأسئلة (الكرديّة) المزمنة
بيروز بريك

السيداو

بورتريهات السجن
سمر يزبك

عندما كان الاعتقال ترفاً
تهامة معروف

نوال السعداوي

تسالي

صالون «صبا بردى السياسي الثقافي» القاهرة
نجاح سفر

فصل ثلاثة وثلاثين موظفاً وحرمانهم من وظائفهم ومستحقاتهم التقاعدية في السويداء

٣ أيار اليوم العالمي لحرية الصحافة

سطور..
مها بكر

المحرقة السورية
ابتسام تريسي

وحيداً رحلت
د. منذر عياشي

اليوم والبارحة وغداً
علاء الدين زيات

الصفحة الأخيرة: عمل للفنانة رزان صباغ

سيدة سوريا

رئيس التحرير:
محمد ملّاك

مدير التحرير:
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة:
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير:
مراد عيد

الإيميل:
saiedetsuria@gmail.com

الفيس بوك:
www.facebook.com/saiedetsouria

المكتب الرئيسي:
تركيا - غازي عينتاب
ت: ٠٠٩٠٥٥٣٣٦٧٩٥٢٨
٠٠٩٠٥٤٣٥٣٢٢٩٧١
٠٠٩٠٥٣٤٧٣٦٢٤٥٨

السعر خارج سوريا: (٥) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

افتتاحية

قبل عدة أيام نشر الدكتور ناصر النقري، وهو أحد أبناء مدينة حمص، عارف بأهلها وبتاريخها القريب كما يتبدى من البوست المطول الذي نشره، ونبدأ بشيء منه: حيث يتساءل «هل هي مدينتكم؟ هل حمص لكم؟ أنسيتم فضل حمص وأهلها عليكم؟متى كان الأسد لكم ومنكم؟ منذ متى إحترمكم؟ منذ متى أصلا عاملكم الساحل على أنكم علويون أو حتى بشر؟ الآن أولادكم باتوا قتلة محترفين ولصوصاً وقطاعَ طرق.

هل تعلمون ما يجري في حمص الأن؟ هل تعلمون أين أهل حمص الأن؟ ثم يتابع ليقول «لن يغفر التاريخ لكم، لن تغفر حمص وأهلها غدركم, ستدفعون من أرواحكم وأملاككم لا محالة لا محالة.

أعلم ليس كلكم يحارب، ولا كلكم مؤيد، وأعلم أنكم فقراء، وأصلا لولا حمص وأهلها لما استطعتم حتى البقاء في حمص.

ألا فاعلموا أن أية نجاسة تلغي الطهارة!

ألا فاعلموا أنكم ستتحملون وزر جرائم ربما استنكرتموها، وأهوال شعب حمص بأكمله، ولن يكون مقبولا تعبير سخيفٌ تافه يتمثل في كلمة لم أشارك، كلكم مشتركون الأن في جريمة لم ير التاريخ نظيراً لها، كلكم بدون استثناء، الصامت كالمشارك في الجريمة بعد الأن، في الإبادة الجماعية لا مكان للحياد الأخلاقي.

«اخرجوا وانتفضوا واصرخوا، تباً للقتلة والمجرمين، للأسد واللصوص وللحالمين!»

يلفتنا في الخطاب القاسي للدكتور النقري نقاط تستند إلى المنطق والاستدلال، ومعرفة الرجل لأناس عاش بينهم وخبرهم، ومعرفته لبنية المجتمع السوري ومتناقضاته حين يرى أن التاريخ لن يغفر وأن أهل حمص لن يغفروا وأن القتلة «عبيد آل الأسد» كما يصفهم، سيدفعون من أرواحهم وأملاكهم لا محالة ثمن ما فعلوا، ونسأل هنا ما هو مقدار الرعونة والارتجال والجهل، وربما البساطة حد السذاجة، التي تحرّض هؤلاء على استعداء جيرانهم ومحيطهم الضيق قرىً ومدناً، والأوسع بلداناً ودولاً، واضعين أنفسهم تحت حمأة سكين الحساب والانتقام.

في التاسع من هذا الشهر نيسان ٢٠١٤، في حي كرم اللوز الواقع تحت سيطرة النظام، الذي تسكنه غالبية علوية، انفجرت سيارتان مفخختان قتلتا وجرحتا العشرات، ثم بعد عشرة أيام في التاسع عشر منه، انفجرت سيارة مفخخة في حي جب الجندلي التي تسيطر عليه قوات النظام أسفرت عن مقتل خمسين شخصاً من عناصره وجرحت عشرات آخرين، ثم قتل حوالي خمس وأربعين شخصاً وأصيب مئة بجروح، بانفجار سيارة مفخخة تلاه قصف بصواريخ محلية الصنع، في حي الزهراء ذي الغالبية العلوية الواقع تحت سيطرة النظام. ما هي الحجج والبراهين التي ساقها غاسلوا الادمغة، حتى أقنعوا من هَجَّروا أهل حمص، أنهم سينجون بفعلتهم، أنهم سيعيشون برغد وسلام مستحوذين على بيوت وأموال إخوة الأمس.

كيف تم حشد وتحويل شبان الطائفة، إلى قتلة محترفين ولصوص وقطاع طرق، وقد رأيناهم دخلوا مع قوات الأمن، وعناصر جيش نظام آل الأسد، فنهبوا البيوت والمحال التجارية والشركات والأسواق، حتى لم تسلم منهم دوائر ومؤسسات القطاع العام، ورأيناهم كيف نصبوا الحواجز للقتل والاغتصاب والانتقام من مواطنيهم جيران الأمس.

ثم يشير النقري في رسالته إلى الفقراء منهم، من لم يحاربوا ولا أيّدوا النظام وقتلته، فيدعوهم للخروج والانتفاض والصراخ، بأن تباً للقتلة والمجرمين، للأسد ولصوصه.

شاهدناهم ونعرفهم، ومن عاش في سوريا بالتأكيد شاهدهم، أولئك البسطاء مغسلوا الدماغ، الذين أُفرغوا من كل شيء إلا ما كرر أمامهم وما أحيطوا به (شعارات للصباح والمساء والمشي والركض والأكل والنوم، وعديد اللّافتات والمخطوطات التي تملأ الجدرانَ والساحات والصورُ، وكلها يعبر عن صيغة واحدة ومنطق واحد، في عبارات لا تتعدى بضعَ جمل، نعرفهم ونعرف آثارهم كلما وقفوا أو طال انتظارهم تحت أحد الجسور، أو على زاوية طريق، أو ركبوا باصاً، وتسنت لأحدهم فرشاة دهان، أو قلمٌ أو آداةٌ حادةٌ، خطّ أو حفر بها (قائدنا إلى الأبد حافظ الأسد، بالروح بالدم نفديك يا حافظ، ثم يا بشار، والآن يكتبون (الأسد أو نحرق البلد) غير مفكرين أن في البلد بيوتهم أمهاتهم آباءهم إخوتهم زوجاتهم وأبناءهم.

وفي الجهة المقابلة، أنتج العنف بسطاءَ استغرقهم غسل الدماغ بالتطرف، والتشدد، فلم يعودوا يسمعون من نغمة تخّصُ الحياةَ، وكأنهم يعيشون في الآخرة حسب زعمهم، أولئك الذين عادوا إلى شكل حياة مندثر منذ مئات السنين، مستورد من الماضي، حياةً لا تحتاج ذرةً من تفكير، بل تكرر بضع جمل موجهة للآخرين، كسيف مسلط على الأعناق، فهم كلما أطلقوا النار، عليهم أن يكرروا بأشكال عديدة خاطئة جملة تدل على أن (الله سبحانه وتعالى) يؤيدهم في رميهم، وإن تكلموا حاولوا الكلام بالعربية الفصحى، على أنها رابط بينهم وبين الدينَ الصحيح، وإن بطريقة مضحكة. أطلقوا اللحى، خاطبوا بعضهم بكلمة الشيخ، وما كانوا شيوخاً قبل ساعات ربما.

فرغت الرؤوس في كلتا الحالتين، وحوّل خطاب التشدد الديني والمذهبي الناسَ إلى آلات للقتل ولكل حجُجُه، جهلة نظام آل الأسد على حواجز القتل والسرقة وهتك الأعراض، لا بد أن يسألوك (هل تحب سيادة الرئيس، أو قل لاَ إله إلا بشار) لا يسلم من ذلك عاقل ولا مجنون كما ترينا مقاطع الفيديو التي تملأ الفضاء الافتراضي. فيما تُحشد لحواجز الجهلة مدعي التدين، أسئلة على شكل امتحان شفهيٍ، عن عدد ركعات صلاة الصبح والظهر، وقراءة الفاتحة محفوظة عن ظهر قلب.

ويلٌ لك أيها السوري إن فشلت في أحد الامتحانين، فإنك هالك، مقتول على يد مغسول دماغ يعرف فقط ما سألك عنه، ولا شيء آخر.

يبقى أن نقول تحتاج سوريا الوطن إلى تضافر أصوات العقل، أصوات التوازن، أصواتاً تتجرأ على غاسلي الأدمغة، تجمعُ كل من غُرِّرَ بأهله، بأبنائه، كي يخرجَ وينتفض ويصرخ علّ صراخه يوقظ المنوّمين.

رئيس التحرير

حمص مجدَّداً، كيف لهذه الأرضِ الصغيرة أن تحملكم؟

• بهزاد حمو

- يحملُ قلباً صغيراً ويركض، فتوقع رصاصة غادرة أخوه من خلفه.. لكنه، يبكي ويركض.

- النازحون الحماصنة في الأحياء الحمصية ذات الغالبية العلوية، غير مرغوب بهم، والسنة الحلبيين، مصدر رزق فقط !

آواخر العام الفائت، ارتكبتْ قوات تابعة للنظام، مدعومة بعناصر من «لواء ذو الفقار» العراقي، مجزرة بحق خمسون نازحاً حمصياً. بعد اقتحامهم لـ «الفيلا» التي كان يتواجد فيها النازحون، في بلدة النبك بريف دمشق. ثم قامت هذه العناصر بحرق جثث الشهداء، بعد أن نكّلوا بها بالسكاكين.

مما دفعَ «المركز الإعلامي في القلمون» أن يسمي هذه المنطقة التي وقعت فيها المجزرة، بـ «أرض المجازر». بسبب الانتهاكات الكبيرة التي وقعتْ فيها، بأدي المليشيات العراقية والسورية.

الموت قدرُ الحمصي الأوحد.. هو الخيار الأكثر هدوءً من بين خيارات صاخبة أخرى. تتراوح بين الجوع والحصار والترحيل.. جهات الوطن، وأصقاع الأرض خشبة ردئية لمسرحِ اغتياله أينما حلَّ.

نازحون «تهريب»!

يتحدث «أبو محمد الجندلي» وهو أحد النازحين من حمص في مدينة القامشلي/شمال شرق سوريا: «أعتقدُ بأني من الأناسِ المحظوظين، بالنسبة لأقراني النازحين في أماكن أخرى. أنا أسكن منزلاً ولم يطاردني الموت, أو أفراد عائلتي بشكل مباشر». لكنه يردفُ قائلاً: «على الرغم من الاحترام الذي يبديه الأهالي هنا، إلا أننا نتعرض لكثير من المضايقات على المستوى الرسمي». وكانت الأساييش التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي pyd والذي يسيطر على الكثير من أحياء مدينة القامشلي، بالإضافة إلى مدن وبلدات شمال شرق سوريا. كانت قد أصدرتْ قرارات بخصوص النازحين في هذه المناطق. حيث تضمَّن القرار: منع النازحين من الحصول على مسكن دون وجود كفيل من ابناء المدينة التي ينوي السكن فيها. الإجراء الذي يراه أبو محمد الجندلي «تقطيعاً لأواصر البلد». ثم يردف متسائلاً: «على هذه القوات أن تعلم أننا لسنا سواحاً هنا ولا زائرين، هناك ظروف صعبة أجبرتنا على قطع هذه المسافات هرباً من الموت والمضايقات». ويضيف: «شخصيًّا، لم أستطع الحصول على كفالة من أحد، وأعيش حالياً فيما يشبه النزوح غير الشرعي. يا لسرخية القدر!!».

النزوح من حمص .. إلى حمص!

أكثر من ١٥٠٠ عائلة حمصية من الأحياء القديمة والمحاصرة، اختارت حمص نفسها وجهةً لرحلتها فسكنت هذه العائلات بلدات الريف

الشمالي المحررة منها (نير معلة، الغنطو، هبوب الريح، المركمية الغاصبية، دير فول، الرستن) وغيرها من مناطق الريف الشمالي للمحافظة. وبحسب هذه الاحصائيات التقديرية التي أفادتنا بها نقطة تابعة للهلال الأحمر في تير معلة، فإن ما يقارب الـ ٦٠٠ عائلة نزحوا من دير بعلبة وحدها. وأكثر من ٢٠٠ عائلة نزوحوا من حي بابا عمرو بعد اقتحامه من قبل قوات النظام أوائل عام ٢٠١٢ بعد حصار الحي ومعركة دامية مع الثوار دامت ما يقارب الشهر.

أكثر من ١٥٠٠ عائلة حمصية من الأحياء القديمة والمحاصرة، اختارت حمص نفسها وجهةً لرحلتها فسكنت هذه العائلات بلدات الريف الشمالي المحررة منها (نير معلة، الغنطو، هبوب الريح، المركمية الغاصبية، دير فول، الرستن) وغيرها من مناطق الريف الشمالي للمحافظة.

«تعيش هذه العائلات حالة صحية وخدمية مزرية، بسبب حصار قوات النظام وقطعه للمياه عن المنطقة». بحسب أبو عبد الحمصي من «المكتب الإعلامي لحي دير بعلبة». ويضيف أبو عبدو نقلاً عن المكتب الطبي للحي: «المياة هنا غير صالحة للشرب، تتزايد يومياً حالات الاصابة بأمراض وجراثيم خطيرة، بين النازحين وحتى السكان الأصليين لهذه المناطق التي قطع عنها النظام مياه الشرب، فاضطروا إلى استخدام الآبار السطحية الكلسية».

ويتحدث الناشط أبو عبدو، الذي يسكن تير معلة، بعد سقوط حيه دير بعلبة بيد قوات النظام، عن طريقة إدخال المواد الإغاثية والخبز إلى الريف الشمالي قائلاً: «هناك أشخاص محدَّدون بالاسم، بمكانهم جلب المواد والعبور من حواجز النظام، وذلك مقابل مبالغ ضخمة يدفعونها لتلك الحواجز كأتاوات ناهيك عن مصادة كميات كبيرة من المواد لصالح ذات العناصر والضباط». «لقد أخذونا رهينة لحصارهم، مقابل صفقات تجارية تفاوض على جوعنا».

بعضٌ ممن اختار الأحياء «الموالية»، أو الخاضعة لسيطرة النظام، وجهةً لنزوحه، يتعرَّض من قبل السكان هناك لتمييز على خلفية انتمائهم الطائفي والمناطقي أيضاً. فالنازحون السنة من حلب مثلاً، لا يتعرضون لذات الاجرءات التي يتعرض لها السني الحمصي. ويُرجع «أبو خلدون» أحد النازحين في حي الزاهرة «الموالي» السبب إلى: «خشية هؤلاء من تغيير ديموغرافي في بنية هذه الأحياء أولاً، واعتبار السنة في الأحياء الثائرة مصدراً لما وصلت إليه البلاد من مآسي ثانياً، ناهيك عن نظرتهم إلى النازحين الحلبين مصدراً للرزق والابتزاز الاقتصادي».

رهائن الانتصارات!

كانت طرطوس، «الهادئة» إحدى خيارات الحماصنة الهاربين من الموت. يقول «سعيد الحصني»، وهو أحد النشطاء الإعلاميين في حمص: «عندما صعَّد النظام السوري قصفه على قلعة الحصن، خلال شهر آذار ٢٠١٢ بدأت موجة نزوح كبيرة باتجاه مدينة طرطوس، التي كان يأمل النازحون من حمص، أن يجدوا فيها القليل من الأمان الذي افتقدوهُ في ديارهم». ثم يستدركُ سعيد حديثه قائلاً: «لكن الميليشيات الطائفية داخل مدينة طرطوس، كانت تعتقل هؤلاء النازحين على وقع الانتصارات التي كان يحققها الثوار في أحياء حمص حينها».

لم تكن التهمة واضحة، سوى «أنهم رهائن لهزائم جيش الأسد، وانتصارات الثوار». بتعبير الناشط سعيد الحصني.

مسيرة النزوح، بين لعبة الموت والحياة

اختار الكثير من ابناء قلعة الحصن، لبنان وجهةً لشتاتهم، على آخذين في الاعتبار التداخلات الثقافية والجغرافية بين هذه المناطق الحدودية. وكانت «قوافلٌ» من أبناء قلعة الحصن، في العام ٢٠١٤ قد بدأت بحملة نزوح جماعية باتجاه الأراضي اللبنانية، كما صرَّح لنا أحد العسكريين من أبناء المنطقة (طلب عدم الكشف عن اسمه) حيث كان مرافقاً لهذه «الملحمة البطولية» كما يصفها. ويسردُ المقاتل تفاصيل الرحلة قائلاً: «بعد أن عجزتْ الهيئات الدولية والمحلية في إقناع النظام بفكّ الحصار عن المدينة، قررَّ الأهالي، ومعهم الثوَّار كسر الحصار والفرار باتجاه الأراضي اللبنانية. فاجتمعوا جميعاً في ساحة المدينة، وبدأوا بالمسير».

كانت المسافة التي على هذه القلوب النازحة أن تقطعها تبلغ ١٤ كم من الأراضي الوعرة حتى بلوغ الحدود اللبنانية. وتنتشر على هذه المسافة حواجز للشبيحة على مداخل قرىً ذات غالبية علوية وأخرى مسيحية.

وفي تفاصيل «يوم الحشر» بتعبير المقاتل المرافق لهذه الرحلة، يردفُ قائلاً: «مسافات طويلة قطعناها زحفاً، وركضاً.. وعلى اعتبار أن المتأخر عن الركب سيكون هدفاً لرصاص قوات النظام، كان علينا أن نسرع ونحمل المتأخرين على أكتافنا».

الكثير من الشهداء سقطوا خلال هذه الرحلة، وأبت قلوبهم الصغيرة إلا أن تنبض آخر نبضاتها على تراب سوريا. الإعلامي خالد الحصني، كان يراقب أخوه يفارق الحياة بينما يواصل خالد الركض باكياً: «لم أستطع أن أفعل له شيئاً، فإما أن أعود وأتمدد بجانبه شهيداً أيضاً، أو أتابع الركض لإخراج المزيد من النازحين من سعير الجحيم الأسدي».

ويروي أحد الشهود حادثة مقتل أحد أبناء أم خالد برصاص قناص تابع لميليشيا، يُعتقد أنه من حزب الله اللبناني: «فجأة سقط الابن على الأرض، فترددتْ الأم فيما عساها تفعل، إلا أنها قررت إكمال فرارها بالرغم من نداءات الابن الجريح، أمي أمي وسط وابل من الرصاص الذي كان يلاحق الجمع».

كان الشبان يتناوبون على حمل النساء والعجائز، فيذكر الشاهد حادثة يصفها بـ«الطريفة» أثناء هذه الرحلة: «حملنا أحد العجائز مسافة طويلة، إلى أن أدخلوهُ الأراضي اللبنانية، إلا أن رصاصة اخترقت ظهره من الخلف، فسقط شهيداً داخل لبنان». ويضيف مبتسماً: «لو أنهم اغتالوهُ في بدء المسير لكنا حملنا أحد الضحايا بدلاً عنه». هكذا تكون خيارات الفارين من الموت، بين الجثة ومشاريع الجثث. وتستدل هذه الحادثة بشكل واضح على استخفاف جيش النظام بالحدود اللبنانية أو سيادة الدولة، وتعني بالمقابل انبطاح الجيش اللبناني أمام عربدة ميليشا حزب الله، وقوات الأسد واستباحتهما لتلك المناطق.

الإعلامي خالد الحصني، كان يراقب أخوه يفارق الحياة بينما يواصل خالد الركض باكياً: «لم أستطع أن أفعل له شيئاً، فإما أن أعود وأتمدد بجانبه شهيداً أيضاً، أو أتابع الركض لإخراج المزيد من النازحين من سعير الجحيم الأسدي».

ولا تنتهي حكاية النازحين الحماصنة بمجرد وصولهم إلى لبنان، فقد تكون لبنان محطة أخرى للقاء الموت، أو الوقوف على عتبته حرقاً. كما حدث مع النازحة الحمصية مريم–وهي إحدى بطالات مسيرة النزوح السابقة الذكر– حيث أضرمتْ مريم النيران في جسدها أمام مكتب مفوضية اللاجئين في طرابلس/شمال لبنان. بعد أن فقدتْ الأمل بقدرة، أو رغبة المنظمات الانسانية على وضع حلّ لمآسي السوريين في لبنان. والّذين يتعرضون لشتى صنوف العنصرية، انطلاقاً من اعتبارات سياسية أولها ولاء قسم من اللبنانيين لسياسيات حزب الله في سوريا ونظام الأسد.

نازح محظوظ!

أعدادٌ ليست بالقليلة من أبناء حمص، تمكّن أهاليهم الذين يعملون في الخليج، من أخذهم إلى هناك. لتكتمل لوحة الشتات الحمصي، أو تقترب من الاكتمال. كذلك أعداد كبيرة من الحمصيين نزوحوا باتجاه الحدود التركية، قبل أن يُقطع الطريق بين المناطق المحررة في المحاغظة وتركيا. بالإضافة إلى من فرَّ من شبح الموت ولزوجة الدم إلى المملكة الأردنية. ويصف أحد النازحين في «الغنطو» من تمكّن من الخروج من سوريا بأنه «نازحٌ محظوظ».

محاولة الإحاطة بهذه الخارطة المعقَّدة لنزوح سكان حمص، تجعلك ملطخاً بالدم والدمع وآهات الجياع.. حمص تزفُّ أبناءها والعالم يتبجَّح في اجتراح حلول لمأساتهم، تتراوح بين الموت والنزوح والاعتقال. فبالتزامن مع عقد مؤتمر جنيف٢ توصل المجتمع الدولي إلى حلّ يضمن إخراج المحاصرين في حمص القديمة، بعدَ قضائهم لأكثر من عشرين شهراً في ظل هذا الحصار. وخرجتْ جموع رهيبة، بوجوه متعبة ومحمَّلة بأنقاض بشريتها، بينما اكتفى العالم بالمشاهدة، وربما بذرف الدموع. إلا أن النظام وكدأبه اخترق العهد وقام باعتقال المئات من هؤلاء التعساء.

«لا رائحة أقسى من رائحة الحمصي أينما حل، مزيج من الدمع والابتسامة.. إنهم الثورة».

غازي عنتاب محطة سورية أُخرى

• سلطان جلبي

على الشاشة الرقمية المستطيلة في مقطور الترام بعنتاب، تحاول طفلة سورية أن تتهجى تلك الحروف الغريبة الظاهرة، تحاول أن تدرك أين أصبحوا الآن... تتلعثم، ثم تنطق كلمة قد لا تشبه ما ظهر على الشاشة، لكن ذلك لا يمنع أمها من أن تبتسم لها مشجعةً ومهنئة. حتى الأم لا تدرك أين هم الآن، هي فقط تحفظ اسم المحطة التي سيترجلون فيها، حيث يقيم سوريون آخرون، تلك فقط المحطة التي تهمها، وهي لا تكترث لمحطات لا يقيم قربها سوريون.

ليس هذا مشهداً مبالغاً فيه، بل إنه تصغير مكثف لحال مئات الآلاف من السوريين المبعثرين في مدن تركيا، معظم هؤلاء تركوا كل شيء خلفهم، وعبروا الحدود ناجين بأرواحهم. ليست البيوت والممتلكات فقط هي ما تركوه، بل إنهم تركوا خلفهم نمط الحياة الذي كانوا يعيشون، الممارسات اليومية، الهوايات، الأحلام، وكل ما كان له معنى في وطنهم، بينما هم الآن يقفون في مواجهة مجتمع جديد بلغته وثقافته وأنماط حياته، مجتمع يرفض معظم السوريون الاندماج فيه ضمنياً، وحتى ما يبدو عند البعض من مرونة وقدرة عالية على التكيف، لا يتجاوز تكيفهم هذا حدود الاستجابة للمتطلبات المهنية والحياتية، بينما تبقى حياتهم الاجتماعية سوريةً بأطرافها وأحاديثها وعاداتها.

فاروق، الشاب العشريني، يقضي عامه الثاني في غازي عنتاب، ورصيده من مفردات اللغة التركية لا يتجاوز بضعة كلمات سقطت في أذنه عنوة، كما يقول: «لست مهتماً بتعلم التركية، ولست بحاجة لذلك، الوسط الاجتماعي الذي يحيط بي مؤلف كله من السوريين، ما الداعي إذاً لهذا العناء؟». لا داعي للعناء إذاً كما يرى فاروق، وهو يختلف في قراره هذا عن أبو فادي، الحلبي بشعره الأشيب وصوته الجهور الذي يملأ المكان في كل مرة يرد التحية لأحد زبائنه، فهو يبدو أكثر قدرة على بناء العلاقات مع أصحاب الأرض، خاصة أولئك الذين اعتادوا شراء السجائر من بسطته الصغيرة. يبيع أبو فادي السجائر المهربة من سوريا، ما جعله معروفاً من معظم السوريين القاطنين في منطقته، والذين يترددون على بسطته بشكل دائم، يقول أبو فادي: «السجائر التي نأتي بها من البلد أجود مما يباع في تركيا، لذلك فإن زبائني ليسوا فقط من السوريين، بل إن الكثير من الأتراك باتوا يفضلون الشراء مما أبيع، إنهم أناس لطفاء وأحاول تعلم لغتهم لأتمكن من التواصل معهم بشكل أفضل».

أما الطفل أحمد، ابن الاثني عشر عاماً، فهو المترجم الرسمي للسوريين في الدكان التركي الذي يعمل فيه، فبعد حوالي عام من الإقامة في عنتاب، بات أحمد يتقن التركية تقريباً بفضل عمله واحتكاكه الكثيف بالمجتمع التركي. يبدو أحمد غير آبه كثيراً بما يحدث حوله. يهتم بعمله، ويتنقل من زبون لآخر سوريين كانوا أم أتراكاً، بات يتقن التعامل مع المكان، يقول أحمد: «حين أتحدث مثلهم، لا أشعر بأنني غريب، أريد أن أشعر بأني أشبه من حولي».

المحطة التالية:

يتحرق أبو فادي للعودة إلى حلب «هناك مكاني الصحيح» يقول، لكن استمرار تهاوي براميل الموت العشوائي على مدينته يمنعه من ذلك. والأمر كذلك بالنسبة لأقرانه، هو استمرار العنف والعنف المضاد في الداخل السوري، وانسداد الآفاق عن حلول قريبة تعيد المهجرين إلى بيوتهم (أو لنقل ما تبقى منها) يترك السوريين في تركيا وباقي دول اللجوء أمام خيارين وحيدين، مالم يفكروا في انتحار احتمالي بالطبع، فإما الابتعاد عن القارة بأكملها والهجرة إلى بلد أوروبي غالباً، وهو أمر شديد الصعوبة بدلالة أجساد السوريين التي ابتلعتها أمواج المتوسط في محاولاتهم العبور إلى الجانب الآخر من العالم، لكن بالرغم من ذلك، نسبة كبيرة من السوريين، والشباب بشكل خاص، باتت فرصة الوصول إلى بلد اوروبي ما، أحد أقصى أحلامها، وهم في تركيا اليوم ينطبق عليهم وصف من «يعيشون مع وقف التنفيذ»، يحصون أياماً وشهوراً وحتى سنوات في انتظار فرصة الخلاص. فاروق هو أحد هؤلاء، ويصف موقفه بالقول: «ليس لدي ما يربطني بهذه المدينة «عنتاب»، قريباً سأكون في السويد أتابع دراستي، سأجد طريقة ما للخروج، فالبقاء هنا هو ضرب من العبث، والعودة إلى سوريا حتى لو كانت ممكنة، فأي مستقبل سينتظرني في تلك البلاد المدمرة؟».

بالعودة إلى أحمد، مترجم السوريين في الدكان التركي، فبعد أن اجتاحت هموم الكبار رأسه الصغير، لا يملك خياراً سوى متابعة عمله والمساعدة في إعالة أسرته العالقة هناك، «لقد أصبحت رجلاً، وعلي أن أعمل وأساعد أهلي من الآن فصاعداً»، يقول الصغير أحمد.

فاروق، أبو فادي، وأحمد، صور وتجارب فردية بين ملايين السوريين الذين ضاقت عليهم الأرض على رحابتها، تنتظرهم مصائر مجهولة محكومة بشبكة معقدة من المتغيرات غير المنضبطة، ومعظمهم يتنقلون من محطة لأخرى بحثاً عن شيء من الاطمئنان والاستقرار لكن دون جدوى، فلا المساعدات الإنسانية، ولا قوائم قبولات اللجوء في الدول المستقبلة للهجرة، ولا حتى محاولات الإدماج في مجتمعات دول الجوار تجدي نفعاً مع هذا الفيضان البشري المستمر، ولن تطمئن روح السوري إلا على أرض سوريا حرة وكريمة.

ابنة المنافي منذ طفولتها، أخيراً تجد في الثورة وطناً
الدكتورة تغريد الحجلي وزيرة الثقافة وشؤون الأسرة

حاورتها سيدة سوريا

في لقاء خاص بشيدة سوريا، الدكتورة تغريد الحجلي وزيرة الثقافة وشؤون الأسرة في الحكومة السورية المؤقتة، تتكلم عن تجربتها قبل الثورة السورية وخلالها، وتتحدث عن دور الوزارة ومهامها.

– أنتِ من السوريين الذين اختبروا بطش النظام بشكل شخصي، وكانوا ضحايا إجراءاته التعسفية. حدّثينا عن تغريد الحجلي، وتجربتها مع نظام الأسد.

أنا من مواليد محافظة السويداء (جبل العرب)، ترعرعتُ في كنف عائلة تعارضُ الحكم السوري القسري، فقدتُ والدي بعد سنوات من السجن والتعذيب. فكان المنفى والتشرد مع عائلتي خياري الأوحد منذ العام ١٩٧٧.

وهبتني الحياة ثلاثة أطفال، يعينونني، يخففون وطأة الغربة ويتشاركون معي طقوسها.

في العام ٢٠٠١ حصلتُ على شهادة دكتواره في علم الاجتماع من جامعة تونس، بعد رسالتي التي قدمتُها عن (دور المرأة في التلفزيونات العربية).

– مسيرتك السياسية، في الثورة السورية، من ناشطة في الحراك الثوري، إلى وزيرة للثقافة والمرأة في الحكومة السورية المؤقتة.. كيف أثّرتْ الثورة على إحداث هذا التدرج في مسيرتكِ السياسية؟

شاركت منذ بداية الثورة السورية من خلال موقعي الفكري والعلمي وتواجدي خارج سوريا، في كثير من التظاهرات. ثم انتقلتُ إلى العمل السياسي المنظم، فأسستُ مع مجموعة من الناشطين والمعارضين السوريين «تجمع أحرار سوريا». ثم أصبحتُ عضواً في الأمانة العامة للمجلس الوطني السوري، حاولت ممارسة التأثير في إدارة مكتب المرأة والطفل. تم اختياري بعدها نائباً لرئيس «المجلس الأعلى للسلم الأهلي» في محافظة السويداء التابع للائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية. بعد تشكيل الحكومة السورية المؤقتة نهاية العام ٢٠١٣ تم اختياري وزيرة للثقافة وشؤون المرأة في هذه الحكومة.

أحاول من خلال منصبي الجديد، التأثير في الرأي العام الدولي وتوجيهه إلى حماية التراث السوري.. أعمل جاهدة لإعادة الاعتبار للثقافة في الوسط السوري من خلال تنشيط المراكز والمكتبات الثقافية.

شغلي الشاغل اليوم، هو تكريس قيم المواطنة في المعادلة السورية المعقدة.

– ماهي المهام المنوطة بوزارة الثقافة والأسرة في الحكومة المؤقتة، وما هي الأدوار الموكلة إليها في ظلِّ هذا السحق للمجتمع السوري؟

باعتقادي أن الثقافة هي المجتمع ومكوناته، لذا فقد تمَّ إلحاق الأسرة بها. والتي تشمل المرأة والطفل والشاب. وبعد ثورة الشعب السوري على طاغوت الفكر الذي أراد أن يحوّل المواطن السوري صاحب الحضارات في العالم إلى عبد للقائد الأوحد، وجب أن تحمل وزارة الثقافة الأمانة في

إعادة ثقافة الحضارة والرقي والتمدن والتطور. بكل تأكيد نحن نحتاج إلى ثقافة جديدة تنتمي إلى الإنسان وحقوقه من العلم والثقافة والتطور والتنمية الشاملة لكل مناحي حياته، فنحن نحتاج اليوم للتركيز على الثقافة والقيم المجتمعية وعلى ثقافة المجتمع المدني وعلى فهم المؤسسات الحديثة التي تُبنى بها الدول المتمدنة والمتطورة، وبكل تأكيد ضمن الحفاظ على أعرافنا وقيمنا وإرثنا الحضاري الرائع.

– كيف تمارس الحكومة المؤقتة مهمامها على الأرض، وما هو شكل العلاقة بينها كهيئة تنفيذية، وبين الائتلاف على اعتباره المرجعية السياسية؟

نحن نعمل في ظلّ شحّ كبير في الإمكانيات والدعم، إلا أن الحكومة المؤقتة، متمثلة بالرئاسة والوزراء وجميع العاملين فيها، تعمل على ترك بصمتها في الأراضي المحررة. ومن هنا جاء قرار الحكومة بالعمل في الداخل السوري بشكل مباشر، وفي مخيمات اللجوء في دول الجوار، فقامت مؤخراً بعدة أعمال منها:

– تم ترميم أكثر من ٤٠٠ مدرسة.
– ترسيم ودفع مرتبات لمدرسين بالمئات.
– إصلاح عدد من شبكات الكهرباء في عدد من المدن.
– البدء بتنفيذ مشروع الطاقة البديلة.
– فتح عدد من المراكز الثقافية.
– طباعة مليوني كتاب حتى الآن. بالإضافة إلى العديد من المشاريع الموجَّهة إلى القلمون والمناطق المحررة الأخرى.. ناهيك عن استيعاب الموظفين المفصولين من الدوائر التابعة للنظام.

– إلى أي درجة تبلورت الوزارة، وما هو تقييمكم لعملها اليوم؟

كما ذكرت آنفاً، فإن قلة الإمكانيات تجعل تحقيق جميع أهداف الوزارة مرة واحدة صعباً جداً. ولكن وضعت الوزارة أهدافاً قريبة المدى وأخرى متوسطة وبعيدة المدى. أعتقد بأن التقرير الأول الذي صدر ضمن كُتيّب يتضمن (وبشفافية عالية) جميع الأعمال التي تحققت، ومن منظور تقيمي، فإن الوزارة حققت أكثر من ٦٥٪ من أهدافها في المرحلة الأولى.

من خلال الأسئلة السابقة أسسنا للقراء ليتمكنوا من فهم وتقييم الأسئلة التي سنطرحها في التالي:

– ما هو شكل التقسيم الإداري داخل الوزارة، وهل ثمة تنسيق بين هذا التقسيم والمهام الموكلة إليها؟

– وضعت الوزارة المهام التي كلفت بها وهي تنقسم إلى سبع إدارات:
– إدارة المراكز الثقافية.
– إدارة الأسرة (المرأة، الطفل).
– إدارة الشباب والرياضة.
– إدارة الآثار والمتاحف.
– إدارة الفنانين والأدباء والفنون التشكيلية.
– إدارة منظمات المجتمع المدني.
– إدارة الإعلام المجتمعي.

– هل تمتلك الوزارة أية خطط لدعم الإعلام، وما هي مكانة «الإعلام الأسري» في هذه الخطط؟

كما حدثتكم سابقاً، للأسف فإن شح الموارد والتدرج المعتمد في الوزارة يجعل إمكانياتنا ضعيفة في دعم الإعلام بشكل جيد ولكننا بدأنا بدعم الإعلام الأسري بالأخص فيما يتعلق بالمرأة والطفل ويوجد أدى الوزارة دائرة خاصة بالعمل الإعلامي المجتمعي، حيث سنطلق قريباً جداً منظومة إعلامية تحمل الفكر والثقافة السورية الأصيلة.

كما بدأنا بتنظيم ندوات حوارية حول مواضيع المرأة وبالأخص في الداخل السوري ضمن فعاليات المراكز الثقافية.

– صوَّت الائتلاف مؤخراً، على قرار بضم وحدة تنسيق الدعم إلى الحكومة، برأيكم ما تبعات مثل هذه الخطوة على قيام الحكومة بمهامها؟

اسمحوا لي أن أكتفي بنقل نص القرار الذي تم التصويت عليه في الائتلاف بجلسته التي انعقدت مؤخراً:

«تقوم الحكومة المؤقتة بالإشراف المباشر على وحدة الدعم وبالتعاون المشترك في دعم وتنفيذ المشاريع في الداخل السوري».

– كون جهد الحكومة وعملها لن يظهرا إلا على الأرض، كيف تظنين أن الحكومة ستتمكن من تمثيل شرعية الثورة لدى الناس من خلال تقديم الخدمات لهم، هل هذا الكلام متاح؟ أم إنه ما زال بعيداً عن إمكانية التطبيق؟

أؤكد لك ولكل السادة القرَّاء انطلاقاً من مسؤوليتي في وزارة الثقافة، أن أكثر من ٩٠٪ من مشاريع الوزارة ستنفَّذ داخل الأراضي السورية المحررة، بالإضافة إلى أن برامج الوزارة تستهدف أيضاً المواطنين السوريين المظلومين تحت سيطرة النظام الغاشم.

وقريباً، ستظهر آثار هذه المشاريع على الأرض، ويبقى الحكم للمواطن حينها.

ثمّة تفاعل من قبل المواطنين مع مشاريع الوزارة، وهذا لمسناه من خلال رصد عمليات التصفح للبرامج التي نطرحها على شبكات التواصل الاجتماعي.

نحن نعتمد على الله ومن ثم الشفافية والصبر في عملنا، حتى بلوغ الأهداف والنصر بإذن الله.

معركة الأنفال.. صامدون هنا

إصرار المعارضة للحفاظ على مكتسباتها، وإصرار النظام على سياسته الدائمة في الأرض المحروقة

• نور مارتيني

منذ قرابة الشهر أعلنت المعارضة السورية عن إطلاق معركة الأنفال الرامية إلى دحر قوات الأسد وحزب الله من مناطق الساحل السوري والسيطرة عليها، بدأت المعركة بزخم شديد تجلى بتحرير معبر كسب الحدودي مع تركيا، والذي يقابله معبر يايلاداغ من الجانب التركي، وهو المعبر الوحيد على الحدود التركية الذي كان لا يزال تحت سيطرة قوات النظام السوري، بعد أن فقدت تباعاً جميع المعابر الحدودية مع تركيا.

تباينت الآراء حول هذه المعركة، غير أن ما لا يرقى إليه شك أن هذه المعركة أثارت قلقاً عظيماً لدى الدول العظمى، ذلك أن هذه المنطقة غنية بالتنوع العرقي والطائفي، وبدأ المجتمع الدولي بالتباكي على الأرمن في كسب، وأطلقت حملة إعلامية بعنوان «أنقذوا كسب».

بالمقابل أطلق ناشطو الثورة حملة أسموها «أنقذوا حلب» فراحت البراميل تنهال على حلب دون هوادة، مع تجاهل كبير من قبل المجتمع الدولي، وتعام من قبل الإعلام عن الإجرام والإبادة المنهجة التي ترتكب في حلبً!

جميع الأنباء التي وردت أكدت مشاركة عدد من الألوية والكتائب في العملية العسكرية الكبرى المسماة «معركة الأنفال»، وأنها انطلقت من مناطق جبل التركمان، التي باتت محررة اليوم. وكعادة النظام السوري، فهو اتبع معها سياسة الأرض المحروقة، من خلال القصف الممنهج وتهجير سكان المناطق التي تخرج عن سيطرته، في خطوة لا يمكن وصفها إلا بأنها انتقامية.

عن الكتائب المشاركة يقول معتز. ح إن الفصائل المشاركة هي «حركة شام، حركة أحرار الشام الإسلامية، أنصار الشام، جبهة النصرة وتجمع نصرة المظلوم»، ويقول: «لقد عزمت هذه الفصائل على تحرير الساحل السوري مهما كلفها ذلك، وبالرغم من عدد الضحايا الكبير الناجم عن الاشتباكات اليومية التي مضى عليها قرابة الشهر، حيث يقدر عدد الشهداء بـ (٢٥٠ شهيد تقريباً وأكثر من ٨٥٠) جريح معظم إصاباتهم

متوسطة فما فوق».

وعن الاحتياجات الأساسية التي تحتاجها هذه الفصائل، يقول معتز: «الحقيقة أن المقاتلين يعيشون ظروفاً قتالية صعبة للغاية، فهم لا يملكون إلا النزر اليسير من المواد التموينية البسيطة من أرز وسكر ومعلبات شارفت على النفاذ، وغالبيتهم يبيتون في العراء بالرغم من البرودة الشديدة في الليل نظراً لتواجدهم في مناطق جبلية، ذلك أن الفرشات الميدانية المتوافرة والخيم لا تكفي العدد الكبير من المقاتلين الذين احتشدوا للمشاركة في هذه المعركة، وبالرغم من ذلك هم ماضون في معركتهم حتى الرمق الأخير».

فيما يقول محمود، وهو أحد المواطنين الصحفيين العاملين مع الكتائب المقاتلة إن «الفصائل المشاركة (بما فيها لواء جبل التركمان التابع للجيش

الحر) قد تمكنت من بسط سيطرتها على عدد كبير من المناطق المحاذية للحدود التركية وهي معبر كسب، مدينة كسب، مدينة النبعين، تلة النسر، قرية السمرا، قمة تشالما، قمة ٤٥)» وأشار محمود أن «النظام السوري مدعوماً من عناصر حزب الله حاول استعادة السيطرة على القمة التي تحوي مرصداً استطلاعياً، إلا أن محاولاته باءت بالفشل، وخسر الكثير من الجنود والعتاد، إلى أن استعادها، لكن لأيام فقط، لتعود إلى أيدي مقاتلي الكتائب الإسلامية ثانيةً ولم يتمكنوا حتى اللحظة من استعادتها».

وعن موضوع الأرمن في كسب وظروفهم الإنسانية، يقول محمود: «لقد توزع الأرمن الموجودون داخل كسب إلى جهتين، قسم دخل الأراضي التركية بمساعدة الثوار والسلطات التركية (وتوجد فيديوهات عدة منتشرة على اليوتيوب تثبت هذه المقولة)، وقسم آخر بقي داخل كسب، فيما طلب عدد بسيط منهم التوجه إلى اللاذقية، وقد تم تأمينهم من قبل الثوار».

ويجري ذلك وسط تباين في الإحصاءات حول عدد الجرحى والشهداء الذين قدر البعض عددهم بخمسين شهيداً، فيما وصل البعض إلى تجاوز عددهم المائتين والخمسين، ويعزو محمود ذلك إلى وجود شهداء غير موثقين بالاسم الثلاثي أو مجهولي الاسم، هذا من ناحية الشهداء، أما الجرحى فالعدد ٨٥٠ هو عدد الجرحى الذين وصلوا إلى المشافي التركية، غير أن هنالك عدد كبير من الجرحى تتم معالجته داخل الأراضي السورية في المشافي الميدانية، والأعداد مرشحة للزيادة.

أما عن الوضع الميداني فيقول ع.ح، وهو أحد المقاتلين على جبهة جبل التركمان: «المعارك لم تتوقف والاشتباكات مستمرة على محور ٤٥ وقمة تشالما، حيث يقوم الثوار يومياً بقصف مناطق النظام بصواريخ الغراد، ومن المناطق التي يستهدفها الثوار: البدروسية، قسطل معاف، الأحياء الموالية والمربع الأمني داخل مدينة اللاذقية ومعسكر رأس البسيط».

وعن استمرار المعارك بالزخم نفسه يقول ع.ح: «يجري الحديث عن إمدادات جديدة لجبهة جبل الأكراد، الأمر الذي يعطي زخماً للمعركة ويرفع معنويات المقاتلين على الجبهات كافة».

وكان السيد أحمد عاصي الجربا، رئيس الائتلاف قد زار جبل التركمان، باير بوجاق، وجبل الأكراد في ريف اللاذقية، وذلك في مطلع شهر نيسان، حيث تفقد سير المعركة، فضلاً عن رصد الائتلاف مبلغاً وقدره ٥٠٠ ألف دولار أمريكي لدعم معركة الساحل.

جميع الأنباء التي وردت أكدت على مشاركة عدد من الألوية والكتائب في العملية العسكرية الكبرى المسماة «معركة الأنفال»، وعلى أنها انطلقت من مناطق جبل التركمان، التي باتت محررة اليوم.

ويشار إلى أنه يجري الحديث عن أسر أربعة أشخاص يحملون الجنسية الروسية، غير أنه لم يتم التأكد من الخبر، كما يقول المقاتلون إنهم تأكدوا من مشاركة حزب الله إلى جانب جيش النظام من خلال رصد اتصالات فيما بينهم على القبضات اللاسلكية، وهو ما يدل على أهمية هذه المعركة بالنسبة للنظام وذلك أنها أولاً تقطع آخر خطوط التماس البرية بين الأراضي التركية والأراضي الخاضعة لسيطرة النظام، ومن ناحية أخرى لأنها المرة الأولى التي يتاح من خلالها لمقاتلي المعارضة الوصول إلى البحر المتوسط منذ بدء الثورة قبل ثلاثة أعوام.

المرأة في النزاعات المسلحة سياسياً واقتصادياً

• سلام كواكبي

في الصراعات الحديثة، التمييز بين العسكري والمدني لم يعد متبعاً، وإنما تصيب الحرب الرجال والنساء. ونستطيع أن نطلق تسمية (الخصوصية الجنسية) على الأدوار المحددة من قبل المجتمع والثقافة التي تسجل العلاقات بين الرجال والنساء، مما يؤدي أن تكون للصراعات المسلحة تأثيرات مختلفة على الجنسين بالرغم من أن النساء، بالإضافة للأطفال، يشكلن ضحايا الحروب الأكثر عدداً، ولكن نستطيع أن نتلمس أنهن يشاركن أيضاً في الصراعات المسلحة، كمقاتلات، مشاركات في المعركة، قائدات، مفاوضات، عناصر سلم وناشطات.

كمدنيات، تتعرض النساء والفتيات مثلما يتعرض الرجال والأطفال لأعمال العنف خلال حالات الصراع المسلح، حيث يعانين بشكل مباشر أو غير مباشر من آثار الاقتتال، بالإضافة إلى نقص الغذاء والمواد الأساسية الأخرى التي يحتجنها من أجل بقائهن. ويتحتم على النساء تحمل مسؤولية أكبر في رعاية أطفالهن وأقاربهن، وتزداد هذه المسؤولية عندما يترك الرجال عائلاتهم للمشاركة في الأعمال القتالية، أو عندما يتم اعتقالهم أو قتلهم أو خطفهم أو تهجيرهم أو نفيهم.

إن غياب الرجال يفاقم الوضع، ويزيد شعور النساء والأطفال بعدم الأمان والخطر، واختلال آليات الدعم التقليدية، والتي يعتمد عليها المجتمع وخصوصاً النساء، حيث يؤدي هذا الشعور إلى دفعهن لترك منازلهن وقراهن، والفرار إلى مناطق أكثر أمناً، لذلك من الطبيعي أن تشكل النساء والأطفال الأغلبية الساحقة من اللاجئين في العالم. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هو وضع النساء اللاتي لا يعمدن إلى ترك منازلهن وقراهن والفرار إلى مناطق أكثر أمناً؟

يسود اعتقاد لدى البعض بأن لا داعي لهروب النساء من الاقتتال أو تهديدات الأعمال الحربية لمجرد كونهن نساء، وأن الأطراف المتحاربة ستقوم بتوفير قدر أكبر من الحماية، ويعتقدن أن دورهن الجندري الذي تم تأسيسه مجتمعياً سيقدم لهن الحماية، ولهذا السبب تبقى النساء لحماية ممتلكات ومورد رزق العائلة، والاهتمام بالمسنين والشباب وأفراد العائلة المرضى، الذين لا يستطيعون الهرب، ولمتابعة تعليم أطفالهن، ولزيارة ودعم أفراد العائلة المعتقلين والبحث عن المفقودين. إن هذا الاعتقاد وشعور الأمان المفترض بعيد كل البعد عن الواقع، وعلى النقيض من ذلك، فإنه يتم استهداف النساء بالتحديد لكونهن نساء.

وبسبب قربهن من مراكز الاقتتال أو تمركز القوات المسلحة بالقرب من المناطق السكنية، تقيد حركة النساء، بالتالي يقيد حصولهن على الغذاء والمياه والمساعدة الطبية، وقدرتهن على تربية الحيوانات وزراعة المحاصيل، وتبادل المعلومات والأخبار والحصول على الدعم الأسري أو المجتمعي.

يمكن أن تؤدي الفرص المحدودة في الحصول على المساعدة الطبية إلى التأثير على النساء وخصوصاً على صحتهن الجسدية والإنجابية، حيث تؤدي مضاعفات الولادة والتي تزداد احتمالاتها في ظروف الحرب إلى تزايد الوفيات والأمراض بين الأمهات والأطفال.

وعادة تتعرض النساء للمضايقة والترهيب والاعتداء في منازلهن، وعند الانتقال في مناطق سكنهن، أو عند عبور نقاط التفتيش.

تظهر معاناة النساء في النزاعات بطرق متعددة، تتراوح بين المشاركة بشكل فعلي في الاقتتال، إلى استهدافهن كمدنيات أو لكونهن نساء، حيث تعتبر تجربة النساء في الحروب متعددة الأوجه، مثل الانفصال، وفقدان أحد أفراد العائلة ومورد الرزق، وتزايد المخاطر بالتعرض للعنف الجنسي والإصابات والحرمان والموت، حيث تدفع الحروب النساء إلى لعب أدوار غير طبيعية، تفرض تعزيز مهارات التكيف الموجودة وتطوير مهارات جديدة.

المجال السياسي:

نجد أن السلطة كانت دائماً بيد الذكور، في العائلة، في المجتمع المدني والدولة. وتبين لنا التجارب منذ ما يقارب الأربعة عقود، خروج المرأة التدريجي من النطاق العائلي إلى نطاق تحمل المسؤولية في المجال المهني والجمعياتي والتربوي. رغم ذلك، يبقى واضحاً ثقل التدرج غير العادل بين مسؤوليات المرأة، وتلكم التي تخصص للرجل. أما فيما يخص المجال السياسي، فإنه يبقى مجالاً محتكراً من قبل الرجال. إن السياسة تكوّن لنفسها نوعاً من المناعة الخاصة وشديدة العزل فيما يتعلق بوصول المرأة إلى تحمل المسؤوليات. وكل ما تم، إن تم شيء، ما هو إلا تدخل إرادي من الأعلى من قبل السلطات الحاكمة، الأحزاب والمؤسسات، بهدف إشراك المرأة في الحياة السياسية، دون أن يتأتى هذا الدور من خلال عملية تطور طبيعي، يحمل في طياته نمواً منطقياً للمجتمعات سياسياً وثقافياً.

ولم تأت الخطوات الإيجابية فيما يتعلق بدور المرأة في المجال السياسي إلا من خلال المواثيق الدولية، والتي دفعت بالدول العربية، مع ما سجلته من تحفظات، إلى أن تنصاع لتطبيقها مجتزأة في قوانينها الوضعية. وفي هذا المجال نشير إلى نصوص دولية مهمة، وهي اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة سنة ١٩٧٩، ومؤتمر بيكين سنة ١٩٩٥.

ويعتبر القرار رقم ١٣٢٥، الصادر في ٣١ تشرين الأول ٢٠٠٠ عن مجلس الأمن، ثمرة تضافر جهود بين منظمات المجتمع المدني والمنظمات الدولية، إضافة للحكومات. إن هذا القرار الأول فيما يتعلق بالنساء في النزاعات المسلحة، يضع برنامجاً كاملاً، ويؤمن للنساء المشاركة الكاملة بالتساوي في مسيرة السلام، وفي الأنشطة المؤدية لتعزيز السلام. وأيضاً، فإنه يعطي لدور المرأة مكانة هامة في المشاركة في عمليات حفظ السلام. وبالمقابل، فبالرغم من اهتمام المنظمات والنصوص الدولية بالدفاع عن حقوق النساء، وبالوقوف أمام العنف الممارس بحقهن بمختلف أشكاله، تبقى العملية قاصرة. وفي مجال احترام حقوق المرأة في النزاعات، تقف النصوص عاجزة، وهناك قصور شامل في تطبيقها، وينعكس ذلك بشدة في الغياب شبه الكامل للمرأة عن لجان التحقيق في جرائم الحرب. وبغيابهن، تعجز هذه اللجان عن التحقيق بشكل كامل ومعمق في الانتهاكات الممارسة بحق النساء. وينعكس كذلك في إقصاء المرأة عن المشاركة والمساهمة في المفاوضات المؤدية لإيقاف النزاعات المسلحة، رغم دور النساء الهام في الحركات السلمية في المجتمعات. ويعتبر إقصاء النساء عن لعب دور تفاوضي في مجال إنهاء المنازعات الحربية وإحلال السلام هو نتيجة لإقصائهن من مراكز اتخاذ القرار السياسي بشكل عام.

إن الصورة النمطية المعبرة عن الحرب في كون الرجل يذهب إلى الجبهة، وتبقى المرأة في المنزل خلف أدوات الطبخ تعد الحساء للأطفال، في حاجة ماسة لإعادة النظر. فالرجل والمرأة ضحايا للحروب والنزاعات بشكل مباشر أو غير مباشر. وفي الآن ذاته، فهما ليسا بالضحايا السلبية لتلكم النزاعات فحسب، بل يعتبران أيضاً عناصر تدعم أحياناً جهود النزاع وتحاول في أحيان أخرى الوقوف أمام مسبباته ونتائجه. وحتى عندما تغيب المعارك بالمعنى المباشر للكلمة، تواجه النساء سلبيات تكوينية في المجال الاقتصادي والسياسي والاجتماعي أيضاً، فالنساء يتعرضن للعنف الشديد والمتجاهل، لأنه يقع في المجال الخاص داخل الخلية الأسرية، وفي ذلك يقول عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو: «وجدت دائماً في السيطرة الذكورية مثالاً للخضوع أسميه العنف الرمزي، العنف الرقيق غير المحسوس وغير المرئي حتى لضحاياه».

في غالبية المجتمعات، تصرّف المرأة مرتبط بالتربية التي تلقتها، والمكونة من محرّمات، واجبات وممنوعات، وهذا يؤثر مباشرة على إمكانية أن تلعب دوراً هاماً في المجال السياسي. وفي النزاعات المسلحة يعتبر ضعف المرأة في جزء منه عائداً لحرمانها من التمكن من الموارد الاقتصادية، ومن المساهمة الفاعلة في الحياة المؤسساتية والسياسية. والتمييز يظهر واضحاً من حيث الوصول إلى الموارد واتخاذ القرار والتحكم بالقيادة.

المجال الاقتصادي :

لما كان النزاع المسلح يؤدي غالباً إلى غياب الرجال أو يحد من تنقلهم، فإن هذا يقتضي أن تضطلع النساء بشكل خاص بدور رأس العائلة، مما يؤدي إلى إحداث تغيير في المهام التقليدية للمرأة، وهو ما تكون هي ومجتمعها غير مهيئين له. يدفعها ذلك إلى العمل خارج البيت بأنشطة عادة ما يتولاها الرجال بحكم التقليد والتقسيم للأدوار داخل الأسرة حسب الجنس. ويفترض هذا التغير أن تصبح النساء المصدر الأساسي للدخل، وصانعات القرار، ورؤساء الأسر.

لكن هذه الحاجة إلى «الخروج» شبه القسري تصطدم بعدة حواجز تشمل بدايةً حالة التقلبات الاقتصادية، وقلة الأمن والتشريد

وتدهور الأوضاع الاجتماعية التي تفرضها النزاعات المسلحة، والتي تفرز حُكماً تفاقماً في حجم البطالة، مما يعني بالنتيجة ازدياد حالة الفقر. ويؤثّر ليس فقط على الفقراء، بل كذلك على الطبقة الوسطى، وفي كلا الحالتين تعاني المرأة أكثر من غيرها.

في غالبية المجتمعات، تصرّف المرأة مرتبط بالتربية التي تلقتها، والمكونة من محرّمات، واجبات وممنوعات، وهذا يؤثر مباشرة على إمكانية أن تلعب دوراً هاماً في المجال السياسي.

إن الفقر ليس مجرد شحّ في الدخل، فالاستثناء الاجتماعي يضيف بعداً آخر للفقر، ويربطه بالحرمان الاجتماعي وسوء الحال وضعف القدرات. وتعاني النساء من ضعف القدرة على الوصول للأصول الإنتاجية، ومن غياب أشكال متنوعة من التعليم والتدريب المهني، ومن تمييز واضح في سوق العمل الرسمي وفي الأجور وغيرها. وهكذا فإن الحديث عن «تأنيث الفقر» ليس مستغرباً، فالحديث ليس فقط عن مجموعات الفقراء من النساء وهي كثيرة، بل عن ضعف إمكانيات أغلب النساء، وبالتالي سهولة إمكانية تعرضهنّ للفقر.

بالمقاربة السريعة لثنائية المرأة والفقر، يمكننا أن نعكس ذلك على وضع المرأة وعلاقتها بالفقر في ظل النزاعات المسلحة. وحيث النساء والأطفال هم أكثر الفئات تأثراً في أوضاع النزاع أو الأزمات، يشيع التشرد والسرقة والنهب وتدمير الممتلكات والبنية الأساسية، وبالتالي لا يعود لدى الأسر الوسائل الضرورية للإنتاج. يفترض هذا أن يؤثر الأمر على كمية الغذاء المتاحة لكل أسرة، والتي قد تكون في أحيان كثيرة قريبة أصلاً من الحد الأدنى اللازم لإطعام الأسرة، مما قد يؤدي إلى مشاكل سوء تغذية وتفشي الأمراض. وبما أن النساء يتحملن وحدهن تقريباً مسؤولية توفير الطعام داخل الأسرة، تلجأ الأسر التي فقدت مصدرها الرئيسي لكسب العيش إلى الاعتماد على المعونات والمساعدات، التي تقدمها المنظمات الإنسانية حتى تستطيع التغلب على وضعها.

يقول ديفد هارتشارك نائب المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة FAO: «يقول المثل الصيني القديم إن النساء يسندن نصف السماء، لكنهن في المعركة الدائرة ضد الجوع والفقر يسندن بكل تأكيد النصف الأثقل». وتبقى من مفارقات الأمور أن تكون النزاعات المسلحة هي إحدى الحالات التي تَسمح للمرأة أن تضطلع بأدوار رئيسية في أسرتها ومجتمعاتها، وتستنفر بسببها طاقاتها الكامنة، متجاوزةً تحجيم تقليد مجتمعاتها المحلية.

ياسمين بنشي..بعد ظلم النظام تنصفها محكمة شرعية وتبرئ ساحتها

• حاورتها سيدة سوريا

جزءٌ من الثورة، تنقَّلتْ في ميادين عدَّة دعماً للحراك الثوري.. من ناشطة على مواقع التواصل الاجتماعي، إلى حقل العمل الإغاثي، ومن ثم العمل الأكثر خطورة في التجسُّس على ضباط الأمنيين لدى للنظام، لصالح الثوار. «كان الثمن الحقيقي لحياتي حينها، هو رصاصة فقط». هكذا تختصرُ ياسمين خطورة عملها الأخير.

– يُثير ذكر اسمكِ الكثير من «الصخب» على خلفية نشاطكِ الثوري الجريء واعتقالكِ من قبل قوات النظام، ومن ثم توقيفكِ من قبل «حركة أحرار الشام» مؤخَّراً.. ياسمين بنشي، من أين نبدأ معكِ؟

ربما هو نمطُ حياة الكثير من السوريين اليوم، إن لم نقل غالبيتهم.. رغبة في التغيير وبالتالي النشاط والعمل في سبيله. بهذه الروح بدأتُ الانخراط في العمل الثوري والنشاط السلمي في مدينة اللاذقية. فأنا ابنة عائلة سنيَّة عانت الأمرَّين من هذا النظام المستبد. والدي مُعتقل سابق، خالي مختلٌ عقلياً اليوم، بعد أن قضى سنوات طويلة في سجون الأسد، وأنا أختٌ وحيدة لشابين، أحدهما ممنوع من العودة إلى الوطن بتهمة إحراق السفارة السورية في قبرص، والآخر معتقلٌ في أقبية النظام منذ سنتين. هنا أذكر بأن اللاذقية عانت ما لم تعانه أية محافظة أخرى على يد هذا النظام، من أحداث حماه وطرابلس شمالَ لبنان.. لكن المجازر التي ارتكبتْ وقتها لم تستطع الوصول إلى الساحة الإعلامية والرأي العام كما يحدث اليوم.

– على اعتبارك ناشطة في الحراك الشبابي داخل مدينة اللاذقية، ورصدت عن كثب حالَ هذا الحراك، كيف تقيمين أداء الشباب السوري في تلك المناطق؟

لنكن واقعيين، لن أجامل ولن أخوض في الشعارات.. صدّقني، أنا لا أبالغ حين أقول لك إن ١,٥ ٪ فقط من أبناء مدينة اللاذقية يتجاوبون مع حالة الحراك الثوري العام. ربما أكثرية الأهالي هناك متضامنون ومؤيدون للثورة ضمنيًّاً، لكن القليل منهم يملك الجرأة على العمل والنشاط الثوري في ظل القبضة الأمنية والتشبيحية، خاصة في تلك المناطق.

– كيف استطعتِ إذاً كفتاة الإفلات من هذه القيود الأمنية ومزاولة نشاطك الثوري؟

بكل صراحة، استفدتُ من هيئتي التي لم تكن توحي لعناصر الأمن والشبيحة داخل المدينة وعلى الحواجز بانخراطي في العمل الثوري. نمط ملابسي خدعهم، وهؤلاء باتوا يركّزون كثيراً على الهيئة الخارجية، بعد أن صدَّقوا كذبتهم أن ما يجري هو مجرد أعمال إرهبية، وبالتالي من غير الممكن أن تتفاعل معه نماذج ترتدي الـ «سبور» على شاكلتي مثلاً ..

– حدّثينا عن طبيعة نشاطكِ في الثورة، وتدرّجكِ في ميادين هذا النشاط؟

بدايةً كنتُ أكتفي بمتابعة مجريات الأحداث في سوريا، وأغوص في تفاصيل الدماء التي يضحي بها السوريون. عملتُ على توثيق جرائم النظام قدر استطاعتي وأرشفتها بمقاطع فيديو وصور، إضافة إلى الأسماء وجميع البيانات التي كنت أستطيع الحصول عليها بخصوص كل مجزرة. كنتُ أعمل لوحدي في هذا. وكما ذكرتُ لك سابقاً، كانت لطريقة لبسي الـ «سبور» فائدة كبيرة للعمل بمساحة من الحرية، وهكذا انتقلتُ للعمل في الحقل الإغاثي. كنتُ أُحمّل سيارتي التي أقودها بنفسي بمواد طبية وأعبر حواجز النظام دون أن أتعرض للتفتيش، وصولاً إلى إحدى النقاط التي

تفصل بين المناطق الخاضعة لسيطرة النظام في حمص وحي بابا عمرو الثائر وقتها.

نهاية العام ٢٠١٢ ازداد التشديد على الحراك الثوري والنشاط الإغاثي، قررتُ البدء بمرحلة أخرى من العمل وهي الأكثر خطورة ربما، كنتُ أعلمُ بأن رصاصة واحدة هي ثمن حياتي، في حال انكشف أمري. قررتُ العمل في التجسس على رجالات محدَّدين من الأمن والشبيحة لصالح الثوار. مستفيدةً بالطبع من شبكة علاقات نسجتُها مع المؤيدين القريبين من هذه الفئة، وقررتُ المضي في هذا العمل الجديد والخطير.

– في هذه الفترة تعرضتِ للاعتقال بتهمة «جنائية» قادتكِ إلى محاكم «الإرهاب»، حدّثينا عن هذه التجربة؟

كنتُ في حديث ودي مع مجموعة من الشباب عن أسعار العقارات في مدينة اللاذقية، ومن بين القصص التي تطرّقنا إليها كانت قصة شاب يدعى (ع.ج) التي سمعتُها من خطيبته، حيثُ قالت لي بأن خطيبها با ع إحدى محلّاته في المدينة بمبلغ ٣٥ مليون ليرة سورية، بعدها بأيام تعرَّض الشاب المذكور لعملية اختطاف، فاقتحمتْ مجموعة أمنية منزلي واقتادتني إلى إحدى الفروع، هناك تم التحقيق معي بشأن هذه الحادثة، التي لم أكن أعلم عنها شيئاً، وبعد ساعات من التحقيق تبيَّن لي وعلى ضوء الكلام الذي قاله لي المحقق بالحرف: «روحي ارتاحي بالغرفة، مافي شي عليك، شغلتلك كلها علاك». وأثناء تواجدي في الغرفة، سألتُ إحدى الفتيات المتوجدات هناك عن احتمال مداهمة منزلي وتفتيشه.. بعد الحديث الذي دار بيني وبين هذه الفتاة في الغرفة، طلبني مدير مكتب العميد في الفرع، واصطحبوني إلى منزلي للتفتيش، للأسف كان ذلك بسبب وشاية من الفتاة ذاتها، وهذا ما أكدته لي الفتاة التي بعثتْ لي باعتذار أثناء تواجدي في سجن درعا فيما بعد. قامت مجموعة أمنية بتفتيش محتويات المنزل وفتح حسابي الشخصي على الفيسبوك، حيث كان الحساب قد تعرَّض للكثير من الإبلاغات مما أدى إلى إغلاقه بعد أن قام الاصدقاء بهذه العملية حين علموا بأمر

اعتقالي. إلا أنهم عثروا على بطاقات ذاكرة تحوي أغلب نشاطاتي من تقارير إعلامية وأرقام توثيق جرائم النظام، بالإضافة إلى عثورهم على مكالماتي المحفوظة عبر السكايب مع الثوار والنشطاء، وهنا تبيَّن لهم بأني فاعلة في النشاط الثوري وتفاجأ الضابط الذي قال لي وقتها: «لك انتي ما طلعتي عرعورية بس، انتي عرعورية و و و».

– كيف تم التعامل مع قضيتكِ بعدها، وهل تجاوزوا الجريمة الجنائية التي اعتقلوكِ أول الأمر بسببها؟

على الإطلاق، استمروا في التحقيق معي بذات الجريمة الجنائية، وأجبروني على توقيع ضبط جنائي يتضمَّن تهماً بتحريضي على الخطف، بالإضافة إلى التحقيق في المواضيع الأخرى المتعلقة بنشاطي الثوري، الذي يرونهُ من صلاحيات محكمة الإرهاب. تم ترحيلي إلى دمشق، وإيداعي سجن عدرا الذي بات يضم قسماً خاصاً للمحكومين بجرائم الإرهاب.

كانت معي في سجن عدرا الناشطة الاعلامية (ر. ك)، قضينا سويَّة ما يقارب الستة أشهر،

ننتظرُ مبادلةً أو تسويةً ما يعقدها الثوار مع النظام، لأننا كنَّا نعلم استحالة تبرئتنا من تهم الارهاب التي وجِّهتْ إلينا من قبل المحكمة المختصة.

– كيف كان يتم التعامل معكِ من قبل النظام؟

الضغط النفسي هناك يفوق كل العذابات الجسدية، التحقيق يبدأ في الساعات التي تحاول الاستراحة فيها، الثانية، الثالثة أو الرابعة صباحاً.. عدا الإجراءات الاستثنائية من قبيل بقائي ليلتين في باحة السجن كعقوبة إضافية، والتهديدات المتكررة بالاغتصاب، الأمر الذي كنتُ أردُّ عليه بالقول: «خذوا ما تشاؤون من اعترافات لكن لا تقتربوا مني، أنا مع أسامة بن لادن، أنا إرهابية أدعو لتخريب البلد وكل ما تريدونه، لكن لا تقتربوا مني».

– كيف تمت عملية إخلاء سبيلكن بعدها؟

١٠-٣-٢٠١٣ كنتُ وصديقتي الناشطة العلامية (ر. ك) من بين الأسماء التي بادلت بها جبهة النصرة راهبات معلولا مع النظام، خرجت ثم مكثتُ لأيام في منزل صديقتي المفرج عنها أيضاً، وحينها بدأت تصلنا رسائل من النظام عن ضرورة مراجعتنا للأمن لاستلام أمانة هناك.. كنا نعلمُ بأنهم يخططون لإعادة اعتقالنا، لكنهم يخشون من تنفيذ ذلك بشكل مباشر خوفاً من الفضائح الإعلامية بعد أن سُلّطت الأضواء على قضية المبادلة الشهيرة، لهذا قررنا وصديقتي (ر.ك) ترك البلاد، كنا نحمل معنا أوراقاً من بيان دعوى للمثول أمام محكمة الارهاب، بالإضافة إلى أمرٍ بتسهيل مروري من الحواجز العسكرية كوني من محافظة أخرى، وهي ورقة يحصل عليها كل معتقل لدى النظام، توجهنا إلى ريف إدلب المحرر وبالتحديد البوابة الحدودية مع تركيا/معبر باب الهوى.

– نعتقد بأن حكايتكِ مع «حركة أحرار الشام» بدأتْ هنا، كيف، ولِماذا تم احتجازكِ؟

وصلنا إلى البوابة الحدودية قبيل انتهاء ساعات الدوام الرسمي في الرابعة عصراً، وكدنا نعبر إلى أن رأى العنصر التابع لأحرار الشام على المعبر ورقة تسهيل العبور على الحواجز، وكنت تركتها ضمن جواز سفري كورقة عادية أحملها، قرأها

ولم يفهم ما بها حاولنا الشرح، لكنه فضل الاتصال بالضابط، وحاولنا إفهام الضابط لكنه قام بالتحقيق معنا (وكنا ثلاث فتيات معاً) مجموعة من الأسئلة، ثم قال إننا نستطيع السفر، لكن المعبر كان قد أقفل، وهكذا خيرنا بين البقاء فيما يؤمن لنا النوم في المعبر، أو العودة من حيث أتينا والرجوع في اليوم التالي للعبور، وكان الأمر محفوفاً بالكثير من المخاطر، تبدأ بقاطعي الطرق ولا تنتهي بالقصف، فلا يمكن إضاءة أنوار السيارة ليلاً لأن الإضاءة تستجلب قصف النظام. مكثنا في غرفة القائد العسكري للمعبر حيث قدمها لنا مشكوراً، في الليل استدعاني ضابط أمن المعبر (وهو تابع لأحرار الشام) للتحقيق، ربما كان يريد تبرير مكوثنا كنساء في المعبر بداعي التحقيق.

– ربما تُعتبرين من الحالات القليلة، التي خبرت سجون النظام وأساليب التحقيق هناك، ومن ثم تم توقيفك في إحدى «الجهات الأمنية» المحسوبة على الثورة، كيف تقيمين أداءهم عن طريق إجراء مقارنة بسيطة بين التجربتين الشخصيتين لك؟

بكلمة واحدة أستطيع القول، وبكل صراحة، إن ذاك المحقق فاق في طغيانه محققي أمن النظام، شخصية متزمتة فجَّة في تعاملها، حتى إنه كان يرى في رضى جبهة النصرة مبادلتي براهبات معلولا غبناً للمجاهدين! فكيف يرضى المجاهدون الإفراج عن سافرة مثلي، بينما الحرائر في السجون. كان يكرر على مسمعي أحاديث تستخفُّ بعملي الثوري من قبيل: «أنتو النسوان شو بدكون بالثورة». «أصلاً الثورة خربت من وراكون».

لكن المفارقة في الموضوع أن هذا المحقق، استند في اتهامه لي، بجريمة مقتل أحد المواطنين، على ضبط أحد فروع أمن النظام! شرحتُ له مطوَّلاً كيفية اتهامهم لي وخلفياته، بالإضافة إلى دواعي حمل هذه الورقة التي تتضمن أمراً بالسماح لي المرور عبر حواجز النظام، لكن كل ذلك لم يجدِ نفعاً، واستمر المحقق في تعنّته.

في اليوم التالي، تم الإفراج عن صديقتي، والاحتفاظ بي لدواع التحقيق.. حاولنا بشتى السبل إقناعه للعدول عن رأيه، الأمر الذي زاده

تعنتاً.

– أثناء فترة تواجدك في الحجز لدى «أحرار الشام» تواردتْ أنباء عن مقتلك، وروَّجت لذلك منابر إعلامية قريبة من النظام السوري، ألم تتمكني من التواصل مع قيادات أخرى، أو جهات قضائية في الثورة؟

نعم، سمعتُ بأمر مقتلي فيما بعد (ضاحكة).. لا أريدُ أن يُفهم حديثي السابق على أنه مقارنة بين معاملة أمن الثورة وأمن النظام، باعتقادي، أبو محمد «المحقق الثورجي» هو فردٌ من بين عشرات بل ومئات الأصوات الثورية الحقيقية، وهذا ما أثبته لي أحد قضاة المحكمة الشرعية أثناء عرض قضيتي عليه لأول مرة، حيث استمع الرجل إلى قصتي بالكثير من رحابة الصدر، وحين علم بأني كنتُ أشارك في الحراك الثوري بدأ بتشجيعي والثناء على عملي، ثم طالب المحقق بتقديم أدلته على التهم التي يوجهها لي سواء الجنائية، أو تلك التي تتحدث جزافاً عن علاقتي بالنظام.

وأخذني القاضي معه إلى منزله، مع الإلحاح على سماع الشهود في اليوم التالي لحسم القضية، فمكثتُ مع زوجة القاضي وعائلته تلك الليلة

في إحدى بلدات ريف إدلب المحرر، في اليوم التالي (وكان قد مر ثلاثة عشر يوماً على تواجدي في الحجز لدى أحرار الشام)، طلبت المحكمة الشرعية تقديم الادعاء، الذي كان قد قُدِّم عن طريق محامٍ عيَّنه أخ الشاب المقتول، حيث يتهمني فيه بالضلوع في القتل، الأمر الذي كان ينطوي على الكثير من التناقض مع ضبط الأمن العسكري نفسه الذي يعتمدون عليه، والذي وصفني بـ «المحرض على الخطف» فقط لكن دون دليل.

بعد سماع الشهود قررت المحكمة الشرعية (مكونة من قاضي قضاة ومستشار) تبرئتي من التهمة الجنائية، إضافة إلى تهمة العمالة للنظام، بعد أن فشل أبو محمد والادعاء بتقديم الأدلة أو الشهود الذين طالبت بهم المحكمة الشرعية، وتم تصوير البيان الذي حُرِّر بهذا الخصوص ونشر على شبكة الإنترنت كتبرئة لساحتي.

– لم برأيك تم الإفراج عنك ؟

أعتقدُ بأن العدالة تأخذ مجراها في نهاية المطاف، لكن أرجِّح بأن الأسباب المباشرة كانت تكمن في أمرين: أولهما حسُ المسؤولية الذي اتصفت به المحكمة الشرعية، والذي ظهر في اتزان القضاة وسعيهم لإحقاق الحق وإنصاف المظلومين، وهو سعي تلمسه في تعاملهم وسماحتهم، على عكس ما بدر من المحقق من قسوة وتجنٍّ وهو ما أعتبره هنا تصرفاً فردياً.

والثاني الضغط الإعلامي الذي فُرض على حركة أحرار الشام ، خاصة بعد ترويج النظام لدعاية مقتلي على أيديهم.. ناهيك طبعاً عن متابعة أصدقائي والنشطاء الإعلاميين، وحضور عدد منهم جلسة المحاكمة النهائية.

نساء سوريا.. لا جنسية لأبنائكن

• كتبتها بالإنكليزية: ديما موسى
• نقلها إلى العربية: مراد عيد

من غير الواضح متى ظهر مفهوم الجنسية، فبينما يرى البعض أن المفهوم يعود إلى العصر اليوناني القديم، تعود الجنسية كما نعرفها اليوم إلى بضع مئات من السنين فقط.

في معظم المجتمعات، تحمل الجنسية معها حقوقاً والتزامات معينة، وتختلف تلك الحقوق والالتزامات من دولة لأخرى، ويمكن أن يحصل الشخص على الجنسية بطرق عدة، أكثرها شيوعاً: اكتسابها من خلال أحد أو كلا الأبوين (حق الدم)، الولادة في الدولة (مسقط الرأس)، الزواج من مواطن (قانون الزواج)، والتجنيس.

تاريخياً جرى الحصول على الجنسية من الأبوين من خلال الأب، لكن مع ذلك، بعد أن سادت المساواة بين الجنسين أكثر في القرن العشرين، أصدرت الكثير من الدول قوانين تسمح للمرأة بإعطاء أبنائها الجنسية، حتى لو لم يكن الأب مواطناً في الدولة ذاتها. سوريا ليست إحدى هذه الدول، والنساء السوريات المتزوجات من رجال غير سوريين، لا يستطعن عموماً إعطاء أبنائهن الجنسية السورية.

في عام ١٩٩٩ بدأت في المغرب حملة إقليمية تحت شعار «جنسيتي حق لي ولأسرتي»، وانتشرت إلى دول عربية أخرى، كانت من ضمن هذه الدول لبنان وسوريا ومصر والبحرين والجزائر والأردن، بالإضافة إلى تحركات غير رسمية في دول الخليج.

استجابت بعض الدول في عام ٢٠٠٤ بشكل إيجابي، عبر إصدار قوانين تسمح للمرأة بإعطاء الجنسية لأبنائها، بدايةً من مصر في عام ٢٠٠٤، ولاحقاً في الجزائر والمغرب وليبيا وفلسطين واليمن وتونس والإمارات العربية المتحدة.

«كاتي» فتاة ولدت ونشأت في مصر لأم مصرية وأب لبناني، أمضت قرابة عقدين من عمرها تعامل كأنها أجنبية، في الدولة الوحيدة التي عاشت فيها. حصلت كاتي عند الولادة على شهادة ولادة مصرية، كالتي تصدر للأجانب المولودين في مصر، وفي وقت لاحق، حصلت على بطاقة الإقامة التي تحتاج للتجديد كل عام. كانت كاتي وشقيقتها الكبرى تعاملان كأجانب قانونياً ورسمياً، وعندما دخلت أختها الكبرى إلى الجامعة، لم تستطع دفع الرسوم المتوجبة على المواطنين المصريين، بل كان عليها دفع الرسوم المحددة للطلاب الأجانب. وعندما أرادتا الحصول على العمل لم تعاملا كالمواطنات المصريات، مما استلزم الحصول على تصريح عمل كأي أجنبي يريد أن يعمل، ولذلك كان الحصول على عمل تحدياً بالنسبة لهما. لكن لحسن حظ كاتي تغير القانون عندما كانت على وشك دخول الجامعة، ولم تواجه ما واجهته أختها الكبرى، فقد كان باستطاعتها الحصول على التعليم العالي، وبالرسوم المحددة للمواطنين المصريين.

تتذكر كاتي عندما تغير القانون، سامحاً لها ولغيرها من أبناء لنساء مصريات وآباء غير مصريين، أن يصبحوا مواطنين مصريين. مع ذلك تشير كاتي أنه على الرغم من أن القانون

ينطبق بالتساوي على جميع هذه الحالات، فإن الأبناء من آباء فلسطينيين لم يستطيعوا أن يصبحوا مواطنين مصريين، وطلباتهم للحصول على الجنسية لم تجهز أو لم تقبل ودون مبرر. لكن في بعض تلك الحالات تم اتخاذ قرارات قانونية عندما حولت إلى المحاكم، وبناءً على ذلك تم منح الجنسية المصرية لأولئك الأبناء.

على أي حال، الأمور مختلفة بالنسبة للأبناء المولودين لأم سورية وأب غير سوري، المادة ٣(أ) من قانون الجنسية السوري تحدد الحق بإعطاء الجنسية السورية بالولادة لمن ولدوا من والد عربي سوري. لا يوجد سند قانوني أو مبرر لهذا التفاوت في المعاملة بين الرجل والمرأة السوريين إلا التمييز بين الجنسين. من المثير للاهتمام أنه لا يوجد في الدستور السوري شيء يدعم هذا القانون، وفي الحقيقة تنص المادة ٣٣(٣) من الدستور السوري المعدل على الآتي: «المواطنون متساوون في الحقوق والواجبات، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة» (سابقاً قبل التعديل نصت المادة ٢٥(٣) أن «المواطنين متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات». كذلك ليس هناك في الشريعة الإسلامية ما يشير صراحةً أن المرأة لا يمكن أن تعطي جنسيتها لأبنائها. المادة ٣(أ) من قانون الجنسية السوري هو أيضاً انتهاك للمادة ٩(٢) من اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (صدّقت سوريا على هذه الاتفاقية بانضمامها عام ٢٠٠٣)، والتي تنص على أن «تمنح الدول الأطراف المرأة حقاً مساوياً لحق الرجل فيما

يتعلق بجنسية أطفالها».

تعتقد رفيف جويجاتي، وهي امرأة سورية أمريكية وأم لولدين من مواطن أمريكي، أنه من السيء ألا تستطيع منح أبنائها الجنسية السورية، وهذا «أحد القوانين التي يجب علينا تغييرها من بين أمور أخرى تؤثر في الأحوال الشخصية». وتضيف جويجاتي: «حرمان الأم من حق إعطاء جنسيتها لطفلها هو حرمان للأم والطفل من حقوق الإنسان الأساسية. فالحرمان من هذا الحق يعني حرمان الأم والطفل من هويتهما». وتتساءل أنه في سياق الصراع الدائر في سوريا، الذي بدأ بخروج الناس مطالبين بالحرية والكرامة: «كيف لنا أن نحصل على الحرية أو الكرامة أو الديمقراطية أو الجنسية إن كنا لا نستطيع أن نبدأ بالهوية الأساسية؟» تقول جويجاتي إنه يجب أن يحصل كلا الوالدين على حقوق متساوية بإعطاء الجنسية لأبنائهم، مبررة ذلك: «كما يحتاج الشخص يداً ثانية ليصفق، فإن الرجل بحاجة إلى امرأة لإنجاب طفل، وبالتالي فكلا الوالدين لديهما الحق بالطفل، وهذه الحقوق تشمل الجنسية والهوية».

ريم، امرأة سورية أمريكية أيضاً، متزوجة من أمريكي ولديها طفلان، بدأت تفكر بهذه القضية منذ تزوجت وحتى قبل أن تنجب طفليها. وقالت إن عدم قدرتها على إعطاء أبنائها الجنسية السورية يجعلها تشعر «أنها مواطنة من الدرجة الثانية». وتتابع ريم «إنه ببساطة أمر خاطئ ويحتاج إلى التعديل إن كنا نريد لسوريا أن تصبح دولة تعددية يعامل فيها المواطنون بتساوٍ وتلتزم فيها حقوق الإنسان الأساسية».

المادة ٣(ب) من قانون الجنسية السوري، تمنح الأبناء المولودين في سوريا من امرأة سورية جنسية والدهم، إن لم يتم إثبات نسب الوالد. وقد تم تفسير هذا بأنه (إن كان الوالد غير معروف أو لا يملك الجنسية، يمكن للمرأة السورية أن تعطي جنسيتها لأبنائها، وحصراً إن كانوا مولودين داخل الأراضي السورية). مع ذلك، ورغم قدرة الأم على إعطاء جنسيتها لأولادها قانونياً وفقاً لهذا النص، فإن هذا الاستثناء يحمل معه المزيد من القضايا التي ستواجهها المرأة في معظم

المجتمعات السورية، أي إنجاب طفل والده غير معروف.

طريقة أخرى يمكن للمرأة السورية من خلالها أن تعطي جنسيتها لأبنائها مذكورة في المادة ١٥ من قانون الجنسية السوري، والتي تقول «إذا استردت المرأة الجنسية بعد وفاة زوجها يتبع الأولاد القاصرون حكماً جنسية والدتهم، على أن يبقى لهم حق الرجوع إلى جنسية والدهم خلال سنة من تاريخ بلوغهم سن الرشد، ويسمح لهم بذلك بقرار من وزير (الداخلية)». يطبق هذا على امرأة سورية تخلت عن جنسيتها للحصول على جنسية زوجها غير السوري، وأرادت بعد نهاية زواجها استعادة جنسيتها السورية، وهو ما يسمح به بقرار من الوزير فقط تبعاً للمادة ١٤ من القانون. يجب التنويه أن المادة ١٥ تطبق فقط عندما ينتهي الزواج بوفاة الزوج.

يمكن للأبناء من أم سورية وأب غير سوري أن يلجؤوا لتقديم طلب الحصول على الجنسية تبعاً للمادة (٤) من قانون الجنسية السوري، والذي يطبق على أي أجنبي يرغب بأن يكون مواطناً سورياً. شروط الأهلية لأبناء المرأة السورية للقيام بهذه الإجراءات هي تماماً كإجراءات أي أجنبي عاش في سوريا خمس سنوات متتالية على الأقل (المادة ٤(ب)). الأهلية بموجب المادة (٤) تشترط بلوغه (المادة ٤(أ))، وخلوه من الأمراض السارية والعاهات (المادة ٤(ج)). يمكن أن يؤدي هذا قانونياً إلى «تفريق» في العائلات، حيث يمكن لأحد الأخوة أن يكون مواطناً، فيما يتم رفض الآخر بسبب الإعاقة أو المرض. تتضمن المادة (٤) أيضاً شروطاً غير موضوعية مثل «حسن السلوك والسمعة» (المادة ٤(د))، وأن يكون طالب الجنسية «ذا اختصاص أو خبرة يمكن الاستفادة منها في القطر» (المادة ٤(هـ)). ومن غير الواضح من الذي يحدد استيفاء هذه الشروط وكيف، رغم أن ديباجة المادة (٤) تقول: «يجوز منح الأجنبي الجنسية بمرسوم، بناء على اقتراح الوزير، وعلى طلب خطي يقدمه الطالب»، مما يشير إلى أن القرار يرجع إلى تقييم الوزير.

هذه الحلول هي مجرد استثناءات ومعالجة لحالات فردية، وفقط عندما يكون لدى الساعين القدرة على تحمل البيروقراطية والتعسف من قبل الجهات التي تطبق هذه القوانين.

بالإضافة إلى ذلك، المعدلات المنخفضة جداً للنجاح تحبط معظم الناس وتدفعهم إلى عدم متابعة الإجراءات القانونية القليلة المتاحة لهم، لا سيما في ظل نظام لا يعترف بمبدأ الفصل بين السلطات، ولا استقلالية للقضاء فيه، والقانون فيه مجرد أداة من أدوات السلطة. حتى تكون هناك قوانين تضمن للمرأة السورية حقوق مساوية لحقوق الرجل بإعطاء أبنائها الجنسية، ستستمر معاملة الأبناء المولودين في سوريا لأم سورية وأب غير سوري على أنهم أجانب.

أثر السياسة في قوانين الأحوال الشخصية في الصراع بين الحداثة والتقليد

• سحر حويجة

شاركت المرأة العربية في كافة دول الربيع العربي في حركة التغيير، على أمل تحقيق عدالة أفضل، تلغي التمييز على أساس الجنس في الحياة والقوانين، لتلبي حاجات المرأة تماشياً مع تطور المجتمع على طريق المساواة، اللبنة الأساس في بناء مجتمعات المواطنة ضد أي تمييز في الحقوق والواجبات على أساس الجنس أو الدين أو العرق، بين أبناء المجتمع الواحد.

في مصر كان للمرأة ثقل متميز في الحراك الثوري الجماهيري ضد سياسات جماعة الإخوان المسلمين وإفشال محاولاتهم في استغلال السلطة، وتمرير قوانين تنال من مكتسبات المرأة باسم المقدس الشرعي والشرعية، أخذت السلطة الانتقالية الجديدة تخاطب النساء، وتثني على دورهن في ثورة التغيير الثانية. في خطوة إلى الوراء حدث في العراق أن الحكومة العراقية أحالت قانون الأحوال الشخصية إلى البرلمان على أساس المذهب الجعفري لإقراره بدلاً من القانون العراقي القائم، لغايات سياسية أهمها تكريس الانقسام الطائفي، ومحاولة حكومة المالكي تعزيز حضورها في الانتخابات القادمة، على أساس طائفي في مواجهة القوى الوطنية الجامعة، ولخطب ود ودعم رجال الدين الشيعة ، كان لهذا القرار أن يساهم في تأجيج الاقتتال القائم في الأنبار، والاستقطاب على أسس طائفية بين مكونات الشعب العراقي، تم الاحتجاج على مشروع القانون من النساء والقوى الوطنية العراقية التي تنادي بالمساواة والحداثة، خوفاً من تمرير هذا القانون الذي يجيز زواج القاصرات منذ سن الثامنة، مع العلم أن القانون في العراق يعتمد على المذهب الشيعي بقضايا الإرث التي تبدو أكثر تحرراً من بقية المذاهب.

في سوريا تعاني المرأة الأمرين في مناطق سيطرة القوى المتشددة (وخاصة تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام)، حيث تتم ملاحقة المرأة في لباسها وتحركها، وتعاقب بالقتل والرجم، والسجن. النظام السوري الذي فشل في تعديل قانون الأحوال الشخصية لإزالة التناقض بين القانون والدستور وفق قاعدة عدم دستورية القوانين التمييزية، على الرغم من أنه قادر على فرض أي قانون دون أن يواجه بأي اعتراضات، غير أن الاستبداد يقوم على تهميش دور المجتمع خاصة النساء. أخذ النظام يستغل هذه القوانين في سعيه لكسب ولاء رجال الدين لصفه، لكن للشهادة النظام يحقق المساواة التامة بين الرجال والنساء في السجون، والحرمان من الحقوق. في سوريا تم إجراء تعديلات مختلفة على قانون الأحوال الشخصية بالرجوع إلى مذاهب فقهية أخرى مع أن المذهب المعتمد بشكل رسمي هو المذهب الحنفي في حال غياب النص أو غموضه. إذن القوى الطائفية المتشددة بدأت تعبر عن نفسها في سياستها ضد المرأة على أساس الشريعة، وهذا يشير إلى نكوص في المجتمع كلما قويت شوكة هذه القوى، في تقييد حرية نصف المجتمع، والسيطرة عليه من أجل إضعاف المجتمع برمته. إن قضية الصراع بين الوحي والعقل بين الحداثة والتقليد، تمتد جذورها في التاريخ العربي والإسلامي، بدأ الصراع بين القدرية والجبرية، واستمرت بين المعتزلة والأشاعرة، وأصبحت فيما بعد نزاعاً بين الوحي وبين أنصار العقل، حيث يكون مصدر العدالة إلهي بالدليل الذي قدمه الوحي، أصر آخرون على ضرورة إعمال العقل لفهمه.

عالم الاجتماع ابن خلدون أكد على أن العدل الإلهي مفهوم مجرد، واقترح مفهوماً دنيوياً للعدل وأوضح أن معيار العدل على المستوى العملي نتاج للعادات الاجتماعية والأعراف والتقاليد المحلية، التي لا تتفق دائماً مع الوحي والعقل. في العصر الحديث، تمت إعادة النظر في العدل الإلهي على يد مفكرين من المسلمين، بعد أن أدركوا أنه لم يعد يلائم الواقع، حيث انقسم العلماء المسلمون حول مسألة تبني مقاييس العدل الغربية إلى مدرستين: الأولى النهضوية يدعى أتباعها بالأصوليين، تتألف من العلماء الذين رفضوا المعايير الأجنبية لأنها تتناقض مع المعايير الإسلامية بحجة كونها علمانية. أما المدرسة التحديثية فهي تضم علماء تلقوا تعليمهم في الغرب أو في مؤسسات أنشئت على النمط الغربي، طالبوا بتبني المعايير العلمانية الغربية بصرف النظر عما إذا كانت تلائم الأعراف الإسلامية أم لا. قسم من العلماء وافق على الأخذ ببعض المعايير الغربية في العدالة، غير أن معظم العلماء رفضوا تبني شامل للمفاهيم الغربية التي جاءت تحت تأثير الموجات الأيديولوجية الحديثة: القومية والاشتراكية والليبرالية وغيرها،

حيث نجد أنه في أوائل القرن التاسع عشر وافقوا على قوانين وإجراءات قضائية حديثة. جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده في القرن الثامن عشر حاولا التوفيق بين المدرستين. شهد العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى تحولاً كبيراً من دولة عالمية إمبراطورية إلى دول قومية حيث اتخذ أنصار حركة الحداثة والإصلاح الأتراك الذين يمثلون حركة ثورية ذات نفوذ كبير في أواخر العهد العثماني خطوة حاسمة، عندما قاموا باستبدال معايير غربية بالمعايير الإسلامية استبدالاً تاماً، وأقدمت تركيا الحديثة على سحب اعترافها بالدولة الإسلامية والشريعة الإسلامية، باستثناء أبواب الشريعة التي تقتصر على معالجة الشعائر الدينية والعبادات. عندما ألغت تركيا دور الشريعة في الحكم والتشريع، بقيت الدول التي انفصلت عنها تراعيها أو تعتمدها، برز ذلك على وجه الخصوص في قوانين الأحوال الشخصية، حيث ساهم أنصار النهضة في الضغط من أجل صياغة هذه القوانين في ظل ضعف نشاط وفعالية المرأة وتجاهل القوى السياسية لحقوق المرأة، غير أنه في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية قامت عدة دول في إحداث تغييرات كبيرة في أوضاع النساء نتيجة ضغوط شعبية، على سبيل المثال: تم إلغاء عدد الزوجات تونس والعراق، في مصر وسوريا تم وضع قيود على تعدد الزوجات، ولكن الطلاق بقي من حق الرجل، لقد عدل القانون العراقي سنة ١٩٦٣ تحت ضغط رجال النهضة،

بموجب التعديل تم إقرار تعدد الزوجات لكن بقيود، كما بقي قانون العائلة التونسي الأكثر تطوراً في مواجهة العدل الكلاسيكي بعد أن أجري عليه تعديل جذري لصالح النساء، يقوم التعديل على ثلاثة مبادئ أساسية: إلغاء تعدد الزوجات على أساس استحالة العدل بين الزوجات وفقاً للآية الكريمة النساء ١٢٩، ومنح القانون المرأة حق الطلاق أسوة بالرجل على أن يحصل في الحالتين بعد جلسة قضائية تعرض فيها أسباب الطلاق، إضافة إلى منح النساء حقوقاً متساوية مع الرجال في الإرث.

القوى التي تمثل النهضة في تونس لم تقل كلمتها فيما إن كانت هذه المبادئ تتعارض مع المعايير الإسلامية أم لا، غير أن حزب النهضة في تونس بعد أن وصل إلى السلطة لم يستطع أن يمس مكتسبات المرأة التونسية في القانون، على الرغم من جدل تعارضها مع الشريعة، بسبب الدور الفاعل للمرأة التونسية وقوة تيارات الحداثة التي تفرض نفسها على المجتمع برمته خلال نصف قرن من سيطرة قوى قومية تدعي العلمانية على الحكم في أكثر من بلد عربي. لكن قوانين الأحوال الشخصية تميزت بالجمود أو تطورت ببطء، وتحت ضغط الحاجة تم إجراء تعديلات طفيفة مثل تعديل سن الحضانة. كما نالت المرأة حقوقاً في كثير من الدول نتيجة نضالات ومطالب المرأة والأحزاب كما في المغرب العربي.

في سوريا تم إجراء تعديلات مختلفة على قانون الأحوال الشخصية بالرجوع إلى مذاهب فقهية أخرى مع أن المذهب المعتمد بشكل رسمي هو المذهب الحنفي في حال غياب النص أو غموضه. إذن القوى الطائفية المتشددة بدأت تعبر عن نفسها في سياستها ضد المرأة على أساس الشريعة، وهذا يشير إلى نكوص في المجتمع كلما قويت شوكة هذه القوى، في تقييد حرية نصف المجتمع، والسيطرة عليه من أجل إضعاف المجتمع برمته.

نجد في ساحة الفعل السياسي في مرحلة التغيير ظاهرة الأحزاب الدينية التي تعتمد الشريعة مرجعاً ممثلة بالإخوان المسلمين، قوى اعترفت بالعدل السياسي الحديث وانتمائها للعصر من انتخابات وديمقراطية ومجتمع مدني ومواطنة، استطاعت الوصول للحكم، لكن في الواقع العملي، عانت من تناقضات اصطدمت مع حقوق المواطنين فابتعدوا عنها خاصة النساء، بعد أن عملوا على تفسير الشريعة وفق نسق تقليد إسلامي بطريركي، حيث إن القوانين المعادية للنساء وضعت تحت غطاء الأسلمة عندما عزوا إلى أنفسهم، بغير حق، تحديد الحالات الاجتماعية والقدرية للنساء.

هل يمكن أن يؤدي جفاف الجلد إلى مضاعفات أخرى !!

• هادية الخطيب

ماهو جفاف الجلد:

هو نقصان الماء من طبقات الجلد وخاصة الطبقة السطحية، حيث تفقد خلايا الجلد الحيوية، ما يتسبب في ظهور التجاعيد وتشقق الجلد، ويمكن (في حالاته الحادة) أن يكون سبباً من أسباب المؤثرات الخارجية للإكزيما التي تصيب الجلد.

يصيب الجفاف الذكور والإناث، الكبار والصغار، ولكن الأكثر عرضة لجفاف الجلد هم:

كبار السن، ومن يعيشون في المناطق الباردة الجافة، ومن يستحمون بكثرة معرضون أكثر من غيرهم للجفاف.

ومن حسن الحظ أن جميع العوامل التي يعود إليها جفاف البشرة يمكن السيطرة عليها، **فمن أهم هذه العوامل:**

– العوامل الجوية والبيئة: حيث إن جفاف الجلد يبلغ أشده في فصل الشتاء، عندما تبلغ درجة الحرارة والرطوبة أدنى مستوياتها.

– التكييف والتدفئة: والتي تؤدي إلى انخفاض مستوى الرطوبة في الجو.. مما يؤدي أيضاً إلى الجفاف.

– الإفراط في استخدام الماء: من استحمام وسباحة، والغيسل بالصابون والمطهرات التي تحتوي على الكحول، بالإضافة إلى ترك الجلد معرضاً للماء فترة طويلة، مما يذيب الطبقة الدهنية الواقية الموجودة على سطح الجلد.

– التعرض مطولاً للشمس: والأشعة فوق البنفسجية، التي تفقد الجلد رونقه، وتسبب جفافه.

– الجفاف: الإسهال أو القيء، ارتفاع درجة حرارة الجسم، التعرق الشديد وعدم شرب المياه بكمية كافية، كل ما سبق يؤدي إلى جفاف الجلد وفقدانه مرونته.

– أمراض الغدة الدرقية: تؤدي أيضاً إلى جفاف الجلد.

ومن الممكن أن تكون مشكلة جفاف الجلد مشكلة مؤقتة، فإن أكثر الأماكن التي تصاب بالجفاف هي الذراع والجزء الأسفل من الساق وعلى جانبي البطن، حيث **يعاني المصاب بجفاف الجلد من الأعراض التالية:**

– وجود بقع حمراء على سطح الجلد.

– إحساس بأن الجلد مشدود، قاس وخشن، وخاصة بعد الاستحمام أو السباحة، وذلك بسبب فقدان الطَّبقة الدهنية التي تكون موجودة على سطح الجلد والتي تعطيه الملمس الناعم.

– الحكة، ومن الممكن أن تكون شديدة حسب الحالة.

– وجود خطوط وتشققات وتجاعيد ظاهرة على سطح الجلد، ومن الممكن أن تنزف هذه التشققات في الحالات الحادة.

ويستجيب جفاف الجلد البسيط غير المصحوب بمضاعفات إلى الوقاية المنزلية والعناية بالبشرة، وذلك من خلال:

– تجنب الاستحمام المتكرر وغمر الجسم لفترات طويلة في المياه الساخنة.

– الاهتمام بترطيب الجلد المستمر باستخدام الكريمات والزيوت.

– الاهتمام بارتداء الملابس القطنية والابتعاد عن الملابس الصوفية.

– تجنب أنواع الصابون والمنظفات الكيميائية المركزة.

وفي بعض الحالات التي لا يتم فيها اتباع خطوات الوقاية للمنزلية، أوعلاج جفاف الجلد، يمكن أن تحدث بعض المضاعفات، مثل:

– العدوى البكتيرية.

– جروح ناتجة عن الحكة الشديدة.

– ويمكن أن تتطور الحالة، لتتحول إلى تقرحات جلدية وجفاف وتشقق بالجلد، وإصابة بالإكزيما.

ماهي الإكزيما :

هي مرض جلدي، ووصف للبشرة الملتهبة المتهيجة، تؤدي إلى طفح جلدي على شكل بقع حمراء جافة تسبب حكة وتورماً في الجلد، مصحوباً بفقاعات مختلفة الحجم مليئة بالسوائل. وهي من الأمراض الجلدية غير المعدية، والتي لا تسبب تشوهات أو ندبات على الجلد.

وغالباً ما تصيب الرضع والأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سنتين وست سنوات، إذ تظهر على شكل طفح جلدي يشمل طيات الجلد وباطن الركبة وفروة الرأس، والخدين واليدين والوجه، ويتمثل بجفاف شديد للجلد، ويسبب الحكة، ومع الوقت تزيد سماكة الجلد وخشونته إلى أن يتشقق.

كما أنها تصيب البالغين، فتظهر على شكل إكزيما اليدين، ومن أهم أشكال الإكزيما التهاب الجلد التخريشي، الذي يصيب ربات البيوت، وينتج عن جفاف راحة اليد بتأثير المواد الكيميائية ولاسيما المنظفات، وغالباً ما تظهر شقوق مؤلمة وعميقة.

وبما أنه لم يتم حتى الآن تحديد مسبب أساسي للإكزيما، فقد **أجمع الأطباء على بعض العوامل المشتركة التي تؤدي إلى الإصابة بالإكزيما وهي:**

– العامل الوراثي: وهو خلل في بناء الجلد، يمكن أن يتوارثه أفراد الأسرة المصابة.

– جفاف الجلد: يمكن أن يتطور جفاف الجلد في حالاته المزمنة ليؤدي إلى خلل في طبقات الجلد السطحية ومن ثم تقرحات.

– العوامل المناعية: يمتاز الجهاز المناعي للمصابين باستجابته السريعة للمؤثرات البيئية، التي يمكن أن تزيد من شدة الحالة، وتجنب هذه المثيرات الخارجية يساعد في التحكم بالمشكلة الجلدية ومنع انتكاسها، **ومن أهم هذه المثيرات البيئية**

التي لابد من الوقاية منها:

١– تجنب جفاف الجلد، خاصة للأشخاص الذين يعيشون في المناطق الجافة.

٢– تجنب المواد الكيميائية مثل المنظفات والعطور.

٣– تجنب التعرض المتكرر والطويل للماء، والذي يؤدي إلى فقدان الطبقة الدهنية التي تحمي سطح الجلد، وفي حال التعرض للماء يجب التجفيف جيداً عند الانتهاء، واستخدام المرطبات الجلدية التي تساعد على حفظ الماء داخل الجلد ومنعه من التبخر.

٤– الحرص على استخدام الملابس القطنية وتجنب الملابس الصوفية نهائياً.

٥– تجنب التعرق.

٦– تجنب تقلبات الطقس الحادة والتغير السريع في درجات الحرارة.

٧– الحرص على استخدام المرطبات والزيت بشكل دائم على الجلد، لضمان ترطيب البشرة بشكل مستمر.

٨– تجنب المشكلات النفسية والابتعاد عن التقلبات العاطفية.

وفي حال اتباع الوقاية من هذه المثيرات دون وجود أي تحسن ملحوظ، يجب زيارة الطبيب مباشرة، لأن بعض الحالات المزمنة للإكزيما وجفاف والبشرة بحاجة إلى التدخل الدوائي، واستخدام بعض المراهم بتراكيز مختلفة لحل المشكلة، ليعود الجلد إلى حالته الطبيعية.

للاطلاع نورد الروابط التالية:
– الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع، إشراف الدكتور محمد الغامدي، جفاف الجلد، ٢٩-٠٣-٢٠٠٨.
– القاموس الطبي، جفاف الجلد.
www.medicinenet.com/dry_skin/article.htm
– كل يوم معلومة طبية، الدكتورة ندى.
www.dailymedicalinfo.com/٨١٩-index.php/articles/a
– الجمعية السعودية لطب الأسرة، الدكتورة منال خورشيد، إكزيما الأطفال.
www.ssfcm.org/public/article/١٤٣٣٧/artid/١٦٠/index/secid
– الجمعية الفلسطينية للأمراض الجلدية والتناسلية، الدكتورة رياض عبد الهادي مشعل، إكزيما الأطفال (الإكزيما التأتبية).
-٢٠١٢-٩٦/www.panarabderm.org
tmpl=componen?٣٢-١٧-١١-٢٦-٠٨
=layout=default&page&١=t&print

اضطراب مابعد الصدمة

• رشا غيبور

زملة قلب الجندي، عصاب المعارك، صدمة القصف، زملة صدمة الاغتصاب، واضطراب الكرب النفسي بعد الرض، تعدّدت التّسميات التّي تمثّل في نهاية المطاف أشكالاً لما يدعى باضطراب الضغوط التالية للصدمة، أو (PTSD))، وهي اختصار لـ«Post traumati stress disorder»، الذي تم تصنيفه كفئة مرضية مستقلة في الدليل التشخيصي والإحصائي الثالث للاضطرابات النفسية III) (DSM، وقد جاء ذلك نتيجة لما آلت إليه الحرب الفيتنامية من نتائج في غاية السوء من الناحية النفسية.

يعتبر اضطراب ما بعد الصدمة من الاضطرابات ذات الأثر الشديد على الأشخاص الذين يتعرضون للصدمة وعلى حياتهم المستقبلية، ونظراً لانتشاره الواسع الذي يتبع الحروب، وما تأتي به من قتال مسلح وأعمال وحشية ورؤية للقتلى والأشلاء والتعذيب في المعتقلات والاغتصاب والانفجارات والقصف وكل ما ليس له علاقة بالإنسانية ويترك آثاراً مدمرة في النفس البشرية، كما في الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام والخليج ولبنان والعراق وسورية حالياً، لذا انشغلت الكثير من الجامعات والمراكز ذات التخصص النفسي بدراسته وتفسيره والبحث في سبل علاجه وكيفية تطويرها، حيث إن هذا الاضطراب يطال جميع الفئات المتصارعة، فحتى الفئة الغالبة منها لاتسلم من آثاره، جنوداً ومدنيين، كباراً وصغاراً، جميع أولئك معرضون ليكونوا ضحية لاضطراب ما بعد الصدمة الذي يعرّف بأنه: «**اضطراب ينجم عن تعرض الشخص لحدث مؤلم جداً يتخطى حدود التجربة الإنسانية المألوفة (حروب، أعمال العنف، التعرض للتعذيب والاعتداء الجسدي الخطير والاغتصاب، كارثة طبيعية، فقدان أحد أفراد العائلة)، بحيث تظهر لاحقاً عدة أعراض جسدية ونفسية (التجنب والتبلد، والأفكار والصور المتخيلة، اضطراب النوم والتعرّق والإجفال والخوف، وضعف الذاكرة والتركيز...)**»، وبذلك يكون حدوث الصدمة أمراً ضرورياً للإصابة بالاضطراب، لتأتي الاستجابات الذاتية فيما بعد متباينة تجاهها، فلكل شخص استجابة معينة للحدث تختلف عن غيره، فإما أن تمكّنه من مواجهة الصدمة وتجاوزها، أو الوقوع ضحية لها، وتلعب عوامل عدة دوراً في استجابة الشخص، كمدى توازنه النفسي وغياب الأمراض العضوية والنفسية وأدائه الوظيفي والمساندة الاجتماعية التي يتلقاها من المحيط، ولكي يتم تشخيص هذا الاضطراب لابد من ظهور عدة أعراض مع استمرارها لأكثر من شهر مثل: ١-استعادة الخبرة المؤلمة سواء كان ذلك من خلال الأفكار والذكريات التي لايقوى المصاب على دفعها أو الأحلام المزعجة والكوابيس أو الشعور بإمكانية تكرار وقوع الحادث، ٢-تجنب المصاب لكل ما قد يرتبط بالحادث الصادم كتجنب الأشخاص أو الأماكن التي تذكره بالحادث مع محاولة التهرب من الأفكار والأحاديث المتعلقة بذلك الموقف والانطواء على الذات، ٣-وقد تظهر لدى المريض استثارة زائدة تتجلى في نوبات الغضب والسلوك العدواني والتشنج والمبالغة في رد فعله تجاه الآخرين مع صعوبات في النوم، إضافة لوجود أعراض ومشكلات أخرى مرافقة، كالاكتئاب أو القلق أو الأمراض الجسدية والسلوك العدواني والإدمان الكحولي، ويعتبر العامل الزمني مهماً في تشخيص الاضطراب، فتشخّص الصدمة بأنها شديدة في حال لم يستمر ظهور الأعراض لأكثر من ثلاثة أشهر، وإن تجاوزت المدة المذكورة تكون الصدمة مزمنة وفي حال عدم ظهور الأعراض إلا بعد ستة أشهر، فهي بذلك تأخذ الشكل المتأخر للصدمة حيث يكون المريض في حالة كمون، وكلّما كان ظهور الأعراض سريعاً ومترافقاً مع الدعم الاجتماعي والنفسي، كان ذلك أفضل في علاج الصدمة، بينما يعتبر تأخر الأعراض مؤشراً سلبياً يدل على إزمان المرض.

حاولت العديد من النظريات إيجاد تفسير لحدوث هذا الاضطراب فكان منها:

١. نموذج التحليل النفسي: والذي أُخذ عليه إهماله لواقع الحرب والتأثيرات التي تتركها على المصاب، معتبراً الشخصية عاملاً أساسياً في تحديد مسار الاضطراب، فقد أكد فرويد (من خلال الدراسات التي أجراها على أشخاص عايشوا خبرات في معسكرات التدريب النازي) على وجود صراع نفسي قديم، يقوم الحدث الصادم بإعادة تنشيطه، إضافة للدور الذي يلعبه الاهتمام المتزايد من قبل المحيط بالشخص المصاب والذي يعمل على استمرار الاضطراب.

٢. نموذج معالجة المعلومات: ترى هذه النظرية أن الدور الأساسي في كل ما يحدث يعود للدماغ الذي يحاول استيعاب الصدمة ومعالجتها من خلال ترميزها بصورة معينة لتظهر فيما بعد على شكل سلوك، إلا أنه يتمكن

من معالجة قسم منها ليبقى القسم الآخر دون معالجة فتبقى المنبهات الصادمة نشطة مؤثرة في الشخص المصاب الذي يلجأ إلى بعض الوسائل الدفاعية، كالنكران والتبلد والتجنب للتخلص منها، وتستمر هذه المنبهات في غزو المصاب من وقت لآخر إلى أن تتم معالجتها بشكل كامل وهو ليس بالأمر السهل وفي حال عدم حدوثه يستمر وجود الخبرة الصادمة وتأثيرها على المصاب.

٣. النموذج السلوكي: الذي يركز على اقتران المثير غير الشرطي بمثير شرطي، فيكتسب بالتالي قدرته على التسبب بالألم للمصاب من خلال تذكيره بالحادث، فيبدأ المصاب بالهروب وتجنب كل ما يعيد إليه ذكريات الصدمة، وقد يجري تعميم الاستجابة على المثيرات الأخرى التي تتشابه مع مثير الصدمة، فمثلاً وقوع الحدث في جو ماطر يعطي المطر صبغة سلبية، حيث يصبح قادراً على إعادة صورة هذا الحدث للمصاب فيما بعد.

٤. النموذج العصبي الحيوي الفيزيولوجي: الذي يركز على الاستجابات الفيزيولوجية المرافقة للموقف الضاغط، كارتفاع ضغط الدم وازدياد معدل ضربات القلب والتنفس والاستجابات الحسية والنشاط العضلي، مع نشاط في إفراز هرمونات الضغوط، والتي تساعد في مواجهة الصدمة بطريقة تكيّفية.

٥. النموذج المعرفي: ويُعزي حدوث الاضطراب إلى تفكير المصاب بطريقة غير عقلانية تجاه ذاته وتجاه العالم.

٦. النموذج الاجتماعي: ويرى أن للمساندة الاجتماعية دور كبير في مساعدة المصاب على

تخطي صدمته التي قد تستمر في حال عدم توفر تلك المساندة.

لم تكن أساليب العلاج كافية لمواجهة اضطراب الصدمة وعلاجه، إلا أنه (ومع الجهود الحثيثة التي تبذل باستمرار) تم تطوير تلك الأساليب، واكتشاف سبل جديدة أكثر فاعلية في علاج الصدمة، بهدف العمل على مساعدة المصابين من خلال تعريفهم بالصدمة وما يرتبط بها من أعراض، وتعليمهم مهارات مواجهتها لتحقيق جو من الأمان لهم، ومؤازرتهم ليتمكنوا من التحكم بحياتهم وبعلاقاتهم مع الآخرين بشكل أفضل. مع العلم بأن أشكال العلاج تختلف باختلاف الحدث الصادم، فصدمة الحرب تستلزم أنواعاً من العلاج مختلفة عن غيرها، إضافة لضرورة تكامل أنواع عديدة من العلاج لتحقيق النتيجة المطلوبة، **ومن الأنواع المستخدمة:**

١. العلاج الدوائي: وذلك من خلال استخدام مضادات الاكتئاب، وأنواع أخرى من المثبطات والأدوية التي تلعب دوراً في كبح النشاط الفيزيولوجي الزائد، وتحسين دورة النوم والأحلام المضطربة وخفض القلق، بالإضافة إلى مضادات الصرع، ومضادات الذّهان التي تساعد في السيطرة على العدوانية الشديدة، مع العلم أن هذا النوع من العلاج يتخذ كإجراء أولي في بدء العلاج الكلي.

٢. العلاج النفسي: ويعتمد هذا النوع من العلاج على عدة تقنيات، **كتقنية الغمر (الإغراق)** وذلك بإعادة تعريض المصاب للحدث الصادم عن طريق التخيل، ولكن في مكان آمن، من أجل مساعدته على مواجهة الحدث والتعامل معه. **وتقنية خفض الحساسية المنظم** وتتم أيضاً بتعريض المصاب للحدث الصادم، ولكن هذه المرة بصورة تدريجية ليس كما في الإغراق، مع استخدام **تقنية الاسترخاء** التي تعتبر ضرورية في كلتا التقنيتين السابقتين، حيث تلعب دوراً هاماً في تخيل الشخص للمواقف وانتقاله من موقف صادم لأقوى منه وهو مسترخ، كما أنه يمكن استخدام أسلوب إعادة البنّاء المعرفي، والذي يرجع إلى التفسير القائل بوجود أفكار سلبية وغير منطقية مرتبطة بحدوث الاضطراب، فيتم العمل على توضيحها للمصاب، وتخليصه منها، واستبدالها بأفكار ومهارات تساعده على التكيف.

٣. العلاج بالتنويم المغناطيسي: ولا يعتبر هذا النوع علاجاً بحد ذاته، فهو يستخدم مترافقاً مع تقنيات الاسترخاء والتخيل من أجل مساعدة المريض على تفريغ الشحنات الانفعالية والتعبير عن المشاعر المكبوتة.

وهناك أيضاً ما يسمى **بالعلاج الوقائي**، ويهدف إلى تأهيل الأفراد وتقوية شخصياتهم ودعمهم نفسياً استعداداً لأي صدمات ممكنة الحدوث، بحيث يصبحون أكثر قدرة على مواجهتها وقد تقوم بذلك مؤسسات المجتمع المدني أو أي جهات أجرى في المجتمع، إضافة للعلاج بالرسم والموسيقى والدراما والرياضة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن استمرار الحرب والتوتر وحالات الرعب وغير ذلك يجعل من الصعب تقديم الدعم النفسي والعلاج المطلوب، خاصة في وضع الأحياء المنكوبة والقصف المستمر عليها، الأمر الذي أصبح مشهداً اعتيادياً في سوريا، وبالرغم من ذلك لابد من التنويه إلى بعض إجراءات الدعم التي يجب اتخاذها في حال تسنى ذلك فور وقوع الصدمة، التي قد لا تقتصر على صدمة القصف، بل تظهر بأشكال مختلفة وكثيرة أضحت معروفة للجميع. وهنا يمكن أن يقوم الشخص أو الفريق الداعم بنقل المصاب إلى مكان آمن والاستماع له، وهو يصف ما حدث معه ويعبر عن مشاعره أثناء مروره بالحدث، ومن ثمّ محاولة تطبيق تقنية الاسترخاء، وتقديم الدعم اللازم حسب الحالة والعمر وشدة الصدمة، وطبعاً كلما تمّ القيام بذلك بعد حدوث الصدمة مباشرة، ولو كان ذلك بإمكانيات ضعيفة كان أفضل من أجل تحقيق الغاية المنشودة.

ضاقت مساحات التحرك أمام الشعب السوري ..

• بسمة قضماني

الرأي العام الدولي تعب، كان اهتمام الإعلام الدولي بالثورة وتغطيته للأحداث جزء أساسي من استراتيجية الثورة، وخاصة بالنسبة للثوار ذوي الميول الديمقراطية، فقد اعتمدوا في البداية على الوسائل السلمية، وبعد فترة حملوا أسلحة خفيفة للدفاع عن مناطقهم وأهلهم، لكنهم لم يخططوا يوماً لهزم النظام عسكرياً. كانوا يعتمدون على شجاعتهم أولاً، ويأملون في تحريك الضمير العالمي، الحل العسكري لم يكن يوماً خياراً لحسم الصراع.

الحكومات الصديقة في الغرب مشغولة، وخاصة منذ اندلاع الأزمة في أوكرانيا، إذ شعرت بأن التحدي الروسي وصل إلى عقر دارها في القارة الأوروبية حيث تقيم الشعوب التي مات الملايين من أبنائها من أجل رسم حدود دولها. توجه الإعلام لتغطية الأحداث الآتية من شرق أوروبا.

الأخطر من ذلك هو أن الثورة بدأت تفقد التعاطف عند فئات واسعة من الرأي العام في الدول التي تمتلك القدرة على التأثير. الإنسان يتعب من المآسي، ويبتعد تلقائياً عن أي قضية عندما لا يرى أي أفق لحل فيها. ثم خرج النظام ببروباغاندا جديدة، وزج داعش في المعركة ليصور الثورة على أنها حرب بينه وبين عصابات من الجهاديين المتشددين. ويكفي أن يشير الإعلام إلى بضعة عشرات من الشبان المسلمين الذين توجهوا من أوروبا إلى سوريا كي يلتحقوا بالجهاد، حتى ينتهي الحال برسم الوضع في سوريا بأكمله على أنها أصبحت المعقل الدولي للجهاد، وأن على العالم وضع كل الإمكانيات لمواجهته. وكأن من المنطق أن يلغي مجموعة من المتشددين شرعية قضيتنا الإنسانية والسياسية. تبقى خطوة واحدة فقط قبل أن يستنتج المواطن العادي أو حتى المثقف بأنه يفضل التعامل مع «ديكتاتور علماني كما يصفون الرئيس المجرم» على مواجهة هؤلاء المجانين، وعدد الذين يجتازون هذا الخط أكبر

مما نتصور.

النظام يسجل بعض الانتصارات على الأرض، وحجم الدعاية التي يحيط بها إنجازات شبيحته يوحي بأن المعركة شارفت على الانتهاء، وأن انتصار مقاتليه أصبح مسألة وقت لا أكثر.

صمت العالم أمام البراميل والحصار والتجويع مدوٍّ، إنه مميت ويوحي للسوريين (نشطاء كانوا أم نازحين أو لاجئين) بأن العالم اختار أن يترك النظام ليحسم الوضع بالوسائل العسكرية، بينما يستمر الدبلوماسيون في تكرار عبارات فارغة عن ضرورة الحل السياسي كمخرج وحيد

للأزمة. الغالبية العظمى من الشعب وقوى الثورة كانت ولا تزال تتمنى نجاح المسار السياسي، ألم تذهب المعارضة إلى جينيف لدورتين من المفاوضات؟ وهل ننسى كم بذلت قيادة المعارضة والدول الداعمة من جهود لإقناع قوى الجيش الحر بضرورة تأييد المسار التفاوضي؟ انتهت الجولتان وظهر بوضوح انسداد الأفق بشكل تام بالنسبة للحل السياسي.

مسارات وهمية وطرق انسدت واحداً تلو الآخر، لا يوجد أفق للمسار العسكري، ولا مبادرة جدية لإنقاذ الشعب من المأساة الإنسانية. لقد خسرت الثورة المعركة الإعلامية، والأمل في العودة إلى المسار السياسي شبه معدوم. هذا هو الواقع القاتم، وفي هذه الأثناء يخطط النظام لمهزلة انتخابية تثبّت بشار الأسد في منصب الرئيس.

في المقابل ما هو مخطط قوى الثورة والمعارضة؟ في الواقع كان هناك دوماً خيار لم تعمل عليه المعارضة بالمثابرة الكافية، ويبدو أنه الوحيد المتاح اليوم، حتى وإن كان طريقه ضيقاً ومتعرّجاً، وهو المسار القضائي.

لقد اكتفينا بقبول مقولات عدد من الدول الصديقة بأن باب المحكمة الجنائية الدولية مغلق طالما بقيت روسيا تعارض تبنّي قرار في مجلس الأمن لمحاكمة كبار المسؤولين عن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية دون سعي منا لسلوك طرق أخرى. أما اليوم فقد أصبح هناك ملف يشكل قنبلة لا يستطيع أحد أن يتجاهلها وهي من صنع أبطال سوريين. إن الشرطي العسكري الملقب بقيصر عمل من داخل أجهزة النظام لمدة عامين وخاطر يومياً بحياته لكي يخرج نسخ عن دلائل لما يزيد عن ١١٠٠٠ سجين قضوا تحت التعذيب في ثلاث معتقلات في سوريا.

يجب مهاجمة النظام من أبسط المداخل وأكثرها بديهية، وأقصد ارتكابه للجرائم، ومعاملته لمواطنيه بوحشية لا يمكن وصفها بالكلام، بل تتحدث عنها الصور لتوصل الرسالة.

فنّياً فإن «ملف قيصر» هو أحد أهم ما قدم من براهين في تاريخ توثيق الجرائم، إذ صرح أحد المدعين عندما تحدث في مؤتمر صحفي في باريس ثم في مجلس الأمن أن المحاكمات التي خرجت بحكم condamner مجرمين حرب في السنوات الماضية لم تستند إلى دلائل بهذه الأهمية.

علينا أن نقرع باب محكمة الجنايات الدولية باستمرار، ونجعل الاهتمام بالملف دائماً كي يبقى حياً ويستحيل تجاهله. وبما أن الملف يوفر المادة الفنية بأفضل ما يمكن تقديمه، فالعمل ذو طبيعة سياسية، ويتعلق بوضع استراتيجية بخطوات منظمة لحمل الملف من عاصمة إلى أخرى، بما في ذلك إلى موسكو وطهران وبكين، لنسأل إذا ما كانت لديهم سجون من هذا الشكل، وإذا كانوا يقبلون بهذا المستوى من الإجرام وينوون الاستمرار في دعمه.

إنه المسار الذي يستحق أن نكرس له قصارى جهودنا، لأنه يتيح لنا تذكير العالم بطبيعة النظام الوحشية، ويعيد التذكير بالسبب الجوهري الذي قامت الثورة من أجله، ويشكل أقوى وسيلة لقطع الطريق عليه في محاولاته لاستعادة شرعيته أمام دول أغلبها جبانة، ولن تتحرك إلا إذا حركنا ضمير الرأي العام والمسؤولين لديها، وتفتح مساحة من جديد أمام النشطاء المدنيين.

المجتمع العربي، ثمن مستحق للحرية أم استعمار جديد؟؟

• سمر علوش

لن ينسى التاريخ مطلقاً ما مرت به منطقتنا العربية كفترة زمنية خاصة محصورة بين بداية الاستعمار المباشر وبعدها الانتدابات، وبين زمننا الحالي. وحتى نكون منصفين وأقرب إلى الدقة، فقد أثبتت الآونة الأخيرة أن مجتمعنا العربي، بأكمله على ما يبدو، لم يحصل على استقلاله حتى الآن، فقد كرست الأيام الراهنة وهم الاستقلالات التي كنا نشيد بها، وأنها كانت مجرد شكل يخلو من مضمونه الوحيد المؤكد، وهو حرية الشعوب في اتخاذ قراراتها ورسم مصيرها دون أية وصاية.

وبمطالعة بسيطة وسريعة لواقع الحال، نجد أن أياً من مجتمعاتنا لم يحقق هذه الغاية حتى اللحظة، وأن ما حصل حين دخل وهم الاستقلال إلى عقليتنا العربية الجمعية هو أن الاستعمار المباشر غادر أراضينا حقاً، لا لشيء سوى لأنه وجد وسيلته المباشرة السابقة قد أضحت أداة قديمة غير صالحة للزمن الجديد، فاستبدل وجوده بأدوات حداثية أشد فتكاً وأقوى نتيجة، بل وتتمتع بكامل الشرعية التي تتطلبها مستويات القوننة الإنسانية الجديدة، كان ذلك عبر خلق الطغاة. ولا شك أن هذه العقلية العالمية في التعامل مع هذه المجتمعات كانت حينها الأكثر ذكاء، إذ حصلت على الأهداف المرجوة من أي استعمار لمنطقتنا العربية كاملة غير منقوصة،

بالإضافة إلى تخلصها طبعاً من فكرة القلق الوجودي النابع من اتهامها بعدم الشرعية، فالشعوب هنا عاشت في وهم الاستقلال والسيادة لزمن لا يمكننا القول بأنه قصير، لأن آثاره السلبية المرتكزة على حالة الوعي الجمعي والفردي المتردي قد تدوم لقرن آخر. ثم إنها مارست وبكل ثقلها حالة الوصاية الكاملة سياسياً واقتصادياً بواسطة طاغية راسخ الحكم، دون أن تظهر في الصورة جلية للعيان. لكن هذه المعادلة المثالية التي دامت أكثر من نصف قرن، والتي سنعاني من آثارها لقرن قادم على الأقل، تم اختراقها بواسطة ظرف استثنائي تراكمي قائم على جرعات القهر واللاجدوى التي فاضت عن الإدراك لدى الإنسان الفرد، لتتحول في لحظة تاريخية فارقة إلى ظاهرة جمعية من القهر المكبوت والتراكمي أيضاً، وهذا ما كانه البوعزيزي، وما خلق فيما بعد حالة التحطيم لأسوار هذه المجتمعات بطريقة جماعية غير منظمة أو مؤدلجة، من تونس إلى مصر، ثم اليمن وليبيا، وأخيراً وليس آخراً سوريا.

وإن افترضنا جدلاً صحة ما يقال بأن ما حصل في هذه الحقبة لمجتمعاتنا العربية كان مخططاً جديداً يصاغ للمنطقة، فإن هذا الافتراض يحمل نقيضه الراسخ ضمن حدود فكرته، إذ إن القوى العالمية والدولية بصيغة واحدة لم تكن جاهزة على الإطلاق لمثل هكذا تغيير جذري في هذه المجتمعات، بل إنها لم تكن تمتلك البدائل، ومما يثبت ذلك في أدنى صوره، الارتباك الواضح الحاصل في التعامل مع هذه الأزمات بالنسبة لها، ومحاولاتها الشرسة للاحتيال على هذه الشعوب لإعادة الوضع إلى ما كان عليه قبل البوعزيزي بطرق تكاد تكون كلاسيكية، نسبة لحدود العقل الجمعي الجديد، ككبح الإسلام السياسي الذي لطالما تم استخدامه خلال النصف قرن الماضي مثلاً، ومحاولة إسقاط شخص الحاكم في مصر، مع الإبقاء على نظامه كاملاً، كمحاولة لإسقاط ما حصل من تغيير بمرور الزمن منذ ٢٥ يناير.

واليوم نجد مصر كدولة عربية لها وقعها التاريخي والاستراتيجي تتجه ثانية لترزح تحت ديكتاتورية

عسكرية لا ندري كم ستستمر، وإن كانت أبسط القواعد المنطقية تقول إن الزمن لا يمكن أن يعود أدراجه مطلقاً، وتونس تحاول الاجتهاد كي لا تقع في ذات الشرك الذي نصب لقرينتها الأولى (مصر) في الربيع العربي. أما اليمن وليبيا فما زالتا، حتى اللحظة، غارقتين في يم الفوضى العارمة التي لم تتلمس بعد طريقاً واحداً نحو نهاية النفق. وبين هذا الشعب وذاك قواسم كبرى تنبئ صراحة بحالة التدني العظمى في الوعي الجمعي الذي وقع الإنسان العربي عموماً في قبضته.

وللأمانة التاريخية، ورغم كل ما يحصل من خراب حقيقي وممنهج في بلد ما زال يخط طريق التغيير كسوريا، نجد أن التاريخ يقف هنا ليبرهن أن الأثمان مستحقة ولا مفر من أدائها، فالجهل والعبودية والفساد المتراكم لا يمكن النهوض منه دون عملية احتراق كاملة لمجتمعات تنتظر ولادة جديدة بعد القضاء آثار النشوء السابقة جملة وتفصيلاً. الزمن هنا يقر بذلك حتماً ويثبته، في الوقت الذي نتلمس فيه نحن الشعوب الآثمة مغبة الاستلقاء بلا مبالاة لنصف قرن على الأقل، لا بد أن الفوضى ستدوم طويلاً دون ظهور يد تستطيع إيقافها، فهل نصل في نهاية المطاف إلى تجسيد واقعي لوطن قرأنا عنه في النظريات؟ أم أننا سنجد الخراب وشكلاً آخر من الاستعمار ما زالت الوصاية العالمية تبحث عنه بمنتهى الجدية لتواكب التغيير الجديد الذي بدأنا طريقه وأضعنا البوصلة؟

اللاجئات السوريات
«شقاء بسبب الأمراض النسائية والتوتر»

• ترجمة: مراد عيد
فريق ترجمة سيدة سوريا

تعاني النساء السوريات الهاربات إلى لبنان من توتر شديد ومشاكل صحية، بما في ذلك ارتفاع معدل الولادات المبكرة ومضاعفات بين من هن حوامل وفقاً للدراسة.

يقول باحثون من جامعة «ييل» أن النساء اللواتي يعشن في شمال لبنان ووادي البقاع، لا يتمكن من الحصول على الرعاية الصحية الأساسية للإنجاب التي يحتجن إليها، لا تحصل الحوامل على أي فحوصات قبل الولادة، فيما تعاني أخريات من التهابات لا تتم معالجتها.

بعض مشاكلهن الصحية مرتبطة بالإجهاد المتعلق بالنزاع، والذي يتجلى أيضاً بتفشي العنف المنزلي، بعض النساء ذكرن أنهن تعرضن للضرب من قبل أزواجهن، وعاقبن أطفالهن، وندمن كثيراً لفعلهن ذلك.

تقول إحدى النساء للباحثين: «انتشر الغضب.... إن تحرك طفل من مكانه نصفعه على وجهه، وذلك بسبب انخفاض مستوى التسامح لدينا، ثم نشعر بالندم على ما فعلنا، ونسأل أنفسنا لماذا ضربناهم؟ بعدها نشعر أن لا طاقة لدينا لنجري خلفهم، ثم نقوم بضربهم مجدداً، ولا نستطيع السيطرة على أنفسنا».

تقول امرأة أخرى: «أشعر أني بحاجة لطبيب نفسي. أضرب طفلي بطريقة غير طبيعية، وعندما ينام أشعر بالندم وأبدأ بالبكاء، ثم في اليوم التالي أتوتر وأضربه مجدداً».

وتقول ثالثة: «زوجي يعمل ليلاً نهاراً ويتقاضى ٥٠٠٠ ليرة لبنانية (٢) جنيه استرليني. لا نستطيع دفع أجرة البيت، نتفهم أن ذلك يجعلهم متوترين، مما يدفعهم لتفريغ غضبهم بنا (من خلال العنف)، لأن عليهم أن يعيلونا».

وتضيف امرأة رابعة: «نحن مضطرات لتحمل توترنا، توتر أزواجنا وأطفالنا أيضاً، لأننا المسؤولات عن عائلاتنا. وهكذا يجن جنوننا ونصرخ، نأخذ حبتي بانادول وننام، وننتظر حلول يوم جديد».

تقول إميليا ماسترسون صاحبة الدراسة الأصلية لصحة المرأة في جريدة BMC BioMed Central: «في حين أن أوضاعهن غير مستقرة فإن النساء يساندن بعضهن البعض في الشدائد».

وصرحت ماسترسون للغارديان: رغم أن معظم القصص التي سمعناها من النساء السوريات كانت كئيبة، فإن العديد من النساء كنّ يواجهن المصاعب بمرونة كبيرة وقوة. «تحدثت النساء عن مساعدة بعضهن في الحاجات الأساسية، والاعتناء بالأطفال بينما يكون أزواجهن بعيدين في سوريا، ويحصلن على مساعدة أو حتى مكان للإقامة من السكان اللبنانيين المحليين».

إحدى النساء تحدثت عن عرفانها بالجميل للشعب اللبناني: «هنا يقدمون لنا الحمّص والمعكرونة والحبوب والرز والمعلبات، نحن شاكرون لكل من ساعدنا، بما في ذلك سكان وادي خالد، فنحن نعلم أنهم ليسوا مسؤولين عنا».

قيّمت ماسترسون وزملاؤها الاحتياجات بناءً على طلب من صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA)، حيث قابلوا ٤٥٢ امرأة تتراوح أعمارهن بين ١٨-٤٥ عاماً من اللواتي أقمن في لبنان لمدة خمسة أشهر وسطياً. وأجريت المقابلات في ثلاث عيادات للرعاية الصحية الأولية بين شهري حزيران وآب من عام ٢٠١٢، عندما كان عدد اللاجئين في لبنان ٤٨٠٠٠ لاجئ تقريباً، من المرجح أن يكون الوضع الآن أصعب مما رأوه حينها، فالأعداد تضخمت الآن، وهناك ما يقارب مليون لاجئ، ربعهم تقريباً من النساء.

لم تعش النساء في المخيمات، بل في المناطق المدنية، حيث كانت الخدمات هناك سيئة جداً مسبقاً، وعلى عكس سوريا فالمرضى في لبنان عليهم أن يدفعوا مقدماً من أجل أي استشارة طبية.

ما يقارب ثلث النساء اللواتي التقاهن الفريق (١٣٩) امرأة قلن إنهن تعرضن للعنف في الصراع السوري وكلهن تقريباً (٩٥,٧٪) قلن إن الفاعل كان مسلحاً.

أربع عشرة امرأة قلن إنهن تعرضن للعنف الجنسي في سوريا من قبل رجل مسلح. تبين الأوراق أن الأرقام قد تكون أكبر، فبعض النساء لم يتحدثن عن العنف الذي تعرضن له، بسبب الخجل والخوف من العار. أكثر من ربع عدد أولئك اللواتي تعرضن لأنواع مختلفة من العنف عانين من إصابات جسدية، و٦٧,٧٪ منهن عانين من مشاكل نفسية، لطالما أبلغت تلك النساء عن إصابتهن أمراض نسائية، بما في ذلك آلام شديدة في الحوض، وعدم انتظام الدورة الشهرية تعاني منه غير الحوامل.

نصف النساء لم يتحدثن لأحد عما حدث لهن، أكثر من ربعهن أخبرن أزواجهن، والباقيات تحدثن للناس في مجتمعهن، لكن معظم من تعرضن للعنف (٦٤,٦٪) لم يحصلن على رعاية طبية بعد ذلك، كانت الأسباب التي قدمنها تشمل عدم توافر المال وقلة المعرفة والفرص للقيام بذلك، إضافة إلى الحرج. قلة تواجد الطبيبات كانت مشكلة بالنسبة لهن، أقل من واحدة من بين كل عشرة نساء (٩,٢٪) حصلت على نوع من الاستشارة أو المساعدة النفسية.

تبين الدراسة أن ثلاثاً وسبعين امرأة كن حوامل في وقت ما خلال الصراع، وأقل من نصفهن أنجبن، من ضمن من أتتمن حملهن، أقل من ربعهن (٢٣,٧٪) أنجبن قبل الموعد، وأربعة أجهضن أو أجهضن عمداً (١٠,٥٪) وتوفي طفل واحد. تعرض أكثر من الثلث (٣٦,٨٪) لمضاعفات كان أكثرها شيوعاً النزف. أكثر من ثلث الحوامل الآن (٣٩,٥٪) أبلغن عن مشاكل مثل ضعف وتعب غير طبيعيين، وآلام شديدة في البطن ونزيف وحمى، معظمهن لم يتلقين رعاية ما قبل الولادة منذ وصولهن إلى لبنان.

تقول ماسترسون وزملاؤها أن نتائجهن تظهر حاجة لمزيد من رعاية الحمل والرعاية النفسية للاجئات في الشرق الأوسط.

تطور دور المرأة في القرن العشرين (٢/١٢) : في السياسة وحق الاقتراع

• ترجمة:د. إنعام شرف
فريق ترجمة سيدة سوريا

في عام ١٩٠٠ كانت النساء ما زلن يعملن في الزراعة، وفي المعامل والغسيل والكوي، والخياطة وتربية الأولاد. يعشن حياةً مليئة، ولا يتقاطعن إلاّ في السوق أو عند النافورة لجلب الماء أو أثناء غسيل الملابس. مدبرات المنازل كن الأكثر احتراماً في نظر العمال. عام ١٨٩٨، وفي محاولة للمطالبة بتوحيد الأجور، سمح الاتحاد العام للعمال بالعمل فقط للنساء العازبات والأرامل، أما المتحدرات من عائلات بورجوازية، فكان عليهن المكوث في المنزل وتقديم النموذج المشرّف عن المرأة، التي تدير الأعمال المنزلية وتربي أطفالها على المثل العليا في الأخلاق والدين.

في عام ١٩٠٦، شكلت المرأة ٣٨٪ من القوة العاملة، خمس النساء العاملات كنّ متزوجات وتعمل غالبيتهن في التدبير المنزلي أو من المنزل. أما التعليم الإلزامي، فقد حول مدبرات المنزل إلى بائعات وسكرتيرات وعاملات في البريد وقابلات، أو معلمات في أحسن الأحوال. ونتيجةً للأعباء المنزلية وتربية الأطفال والاهتمام بأزواجهن، حُكم على المرأة بأنها غير كفء للمشاركة في العمل السياسي، وبالتالي أصبح هذا العمل حكراً على الرجال. ومع نشوب الحرب العالمية الأولى، بدأت المرأة تدخل حيز العمل، لا بل أصبح عملها ضرورةً حتمية بسبب التحاق الرجال بجبهات الحرب.

أولاً: وضع المرأة في العمل السياسي:

بصورة عامة لا تمتلك المرأة الكثير من الحقوق، وهنا يجب أن نميز بين امتلاك الحق وممارسته، فالمرأة مثلاً لها الحق في الرياضة، ولكنها في نظر الرجل غير قادرة على ممارستها.

تذكير تاريخي:

خلال الثورة الفرنسية، وبعد خطاب الأب سييّس (Sieyes) في العشرين من تموز ١٧٨٩، القائم على التمييز بين المواطن الفاعل والمواطن غير الفاعل، تم تصنيف النساء، تماماً كالأطفال والأجانب، كفئة لا تمتلك الحق في التصويت. ورغم الدعوات الموجهة من قبل الماركيز كوندرسيه (Condorcet) لمنح المرأة حق التصويت في الحكومة الجديدة، إلاّ أن الجمعية الوطنية، وفي اجتماعها المنعقد في الثاني والعشرين من شهر كانون الأول لعام ١٧٨٩، أقصت النساء رسمياً وبشكل تام عن حقهن في التصويت. كما أن الدستور الذي صوّت عليه المجلس الوطني عام ١٧٩١ نص أيضاً على حرمان المرأة من حق الانتخاب، ومن ثم تم التصويت عليه في اتفاقية الرابع والعشرين من حزيران/ يوليو عام ١٧٩٣، أشهر قليلة قبل تنفيذ حكم الإعدام بأولمب دي غوغز (Olympe de Gouges) الكاتبة المسرحية وصاحبة إعلان حقوق المرأة والمواطنة الذي تمت صياغته عام ١٧٩١، والذي طالب بالاستيعاب القانوني الكامل للمرأة وتمكينها سياساً واجتماعياً.

في القرن التاسع عشر منحت المرأة بحسب القانون مكانةً ثانوية في المجتمع مقارنةً بالرجل، كائن موجود، ولكن مهمش بالكامل. كما أن الواجب الزوجي ينص على منح الرجل حق استخدام العنف ضد زوجته بما تقتضيه الحاجة ووفقاً للعرف الاجتماعي والقانون. وعلاوةً على ذلك، ولضمان الذرية الصالحة، فإن المرأة غير الوفية تتم معاقبتها بشدة، وتحاكم وفقاً للقانون الجنائي الذي تُزج بحسبه في السجن مدة تتراوح بين ثلاثة أشهر إلى سنتين، في الوقت الذي يحاسب فيه الزوج على نفس الفعل بدفع غرامة مالية فقط لا غير.

بالإضافة إلى ذلك، حُرمت المرأة من حقها في الطلاق، واستمر هذا الحرمان من عام ١٨١٦ حتى عام ١٨٨٤، ولم تتمكن المرأة المطلقة من استعادة حقوقها المدنية الكاملة إلاّ في عام ١٨٩٣، وذلك عندما سُمح لما يقارب الـ ٨٠٪ من حالات الانفصال الجسدي بالطلاق.

التحول الذي طرأ على القوانين المتعلقة بالمرأة كان بطيئاً، لكن التحول الحقيقي حدث عام ١٩٠٤ عندما صدر القانون الذي يُسمح بموجبه بالزواج من الزاني أو الزانية، وتبعه عام ١٩٠٨ قانون يسمح بالطلاق بعد ثلاث سنوات من الانفصال الجسدي.

في العام ١٩٠٩ تأسست في باريس منظمة الاتحاد الفرنسي لمنح المرأة حق الانتخاب (UFSF)، وتبعها بعد ذلك تأسيس منظمة القيادة الفرنسية من أجل حقوق المرأة برئاسة ماريا فيرونا، وهاتان المنظمتان هما اللتان قادتا الكفاح من أجل حقوق المرأة وتمكينها في الحياة السياسية والاجتماعية، وتتألف كل منهما من الباريسيات البرجوازيات، اللاتي تسعين لتوسيع شبكة دعمهن، واستقطاب منظمات العمل السياسي الذكورية، وخاصةً في المناطق التي لا يحظين فيها بنفس الأهمية والدعم.

حق الاقتراع:

أحد أهم المبادئ التي نادت بها الثورة الفرنسية هو مبدأ المساواة في كل شيء، لكن، ومع الأسف، لا يتم تطبيق هذا المبدأ على النساء طالما أنهنّ لا يحصلن على حقهن في الاقتراع.

وبفضل الثورة أصبح الحديث عن المساواة بين الرجل والمرأة مسموحاً به ولكن هذا الموضوع لم يخرج عن الإطار الكلامي والنقاشات، ولم يذهب إلى أبعد من ذلك. والمؤسف في الموضوع أن النظام القديم كان يعترف على الأقل بوجود المرأة وبحقوقها المدنية.

في نهاية القرن التاسع عشر، لم تبق امرأة في الغرب إلاّ وحصلت على حقوقها المدنية وحريتها، ولكنها في المقابل بقيت محرومة من حقها في التصويت. أما في فرنسا، فالمطالبات الأولى بدأت أثناء ثورة ١٨٤٨ بعد إصدار قانون الاقتراع العام الذي كان حكراً على الرجال. وطوال القرن التاسع عشر بقي حق التصويت مؤجلاً بالنسبة للمرأة، واستمر إبعادها عن الحياة العامة والسياسية تحت ضغط المحافظين الكارهين للنساء والمعادين لهنّ. أما الجمهوريين الواقعين تحت تأثير الكنيسة، فيخشون من جهتهم أن يتسبب صوت النساء بتأجيج غضب المحافظين ضدهم، وبالتالي إرباك الجمهورية.

في شباط عام ١٩١٤، تم تقديم مشروع قانون إلى مجلس النواب تُمنح من خلاله المرأة الحق في التصويت. وهذا القانون كان فرصة غير مسبوقة لشن حملة مناصرة كبيرة مدعومة بمجموعة من وسائل الإعلام، بما في ذلك صحيفة «الجريدة» (Le Journal) التي تحظى بشعبية عالية لدى الفرنسيين. وإذا كانت المظاهرات الداعمة لهذا الحق قد استقطبت الآلاف من الناس، فإن الاستفتاء الذي نظمته هذه الصحيفة من ٢٦ نيسان إلى الثالث من أيار ١٩١٤ تحت مسمى «الاقتراع الأبيض» لاقى نجاحاً كبيراً، لا سيما أن الاستفتاء ترافق حينها مع الانتخابات البرلمانية. واستطاع هذا الاستفتاء أن يجمع ٥٠٠ ألف صوت داعم ومؤيد لمنح المرأة حق الاقتراع. لكن زخم الحملة بدأ بالتراجع مع اندلاع الحرب العالمية الأولى في صيف ١٩١٤. وبعد انتهاء الحرب عاد المحافظون المسيطرون على مجلس النواب ليرفضوا مشروع قانون ينص على حصول المرأة على حقها في الانتخاب، ولم تحصل المرأة الفرنسية على هذا الحق

إلاّ في الحادي والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٤٤.

وحتى عشية الحرب العالمية الثانية، كان وضع المرأة ما يزال يخضع لكثير من القيود، وبعض التدابير كانت لا تزال قائمة بحقها في معظم البلدان الأوروبية، كوجوب حصولها على إذن الزوج لممارسة مهنتها، وفي الحالة الفرنسية استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٦٥. الحصول على إذن الزوج كان مفروضاً على الكثير من الإجراءات، وكلها مضمنة في القانون المدني، نذكر منها على وجه الخصوص: التقدم للامتحان، التسجيل في الجامعة، فتح حساب مصرفي، الحصول على جواز سفر، الحصول على رخصة القيادة، العمل في منشأة، إلخ.

المرأة هي الزوجة والأم والأخت، وقد تم الاعتراف بها طوال القرن التاسع عشر فقط من خلال دورها الأسريّ. تشكل المرأة محوراً أساسياً في النظام الاجتماعي، لكن وبهدف أن تبقى خاضعةً لزوجها، فإن المشرّع يحرص على أن يكون متيقظاً حيال هذا الموضوع، لا يحق للمرأة أن تتهرب من واجباتها ومسؤولياتها

الزوجية، واغتصاب الزوج لزوجته لم يتم الاعتراف به يوماً. المجلس التشريعي يعاقب بشدة النساء في حالات الخيانة الزوجية، لأن إدخال رجل غريب إلى بيت الزوجية قد يؤدي إلى التغيير في حصص الميراث، وهذا يمس النظام الاجتماعي، بينما لا تتم إدانة الرجل الزاني إلاّ في حالة الجمع بين زوجتين.

شكلت الحرب العالمية الأولى فرصةً للنساء للهروب من أغلال العائلة ولو بشكل مؤقت. الكثيرات منهن، وبسبب بعدهن عن أزواجهن، اضطررن لامتهان أعمال تمكنهن من إدارة شؤون حياتهن والدفاع عن أنفسهن، كالعمل في المزارع أو في أعمال العائلة التجارية. وفي القرن العشرين، استمر النظر لعمل المرأة على أنه رفاهية مكملة أو هبة، وليس على أنه حق مكتسب. والهجوم على المرأة العاملة، خاصةً المتزوجات والأمهات، يزداد غالباً في فترات الأزمات الاقتصادية، كما حدث عام ١٩١٩ عندما تمت إعادة النساء العاملات، اللاتي كنّ يدرن شؤون البلاد أثناء الحرب إلى بيوتهن، لينجبن أطفالاً بهدف زيادة عدد السكان في فرنسا.

في فترة الحرب، من ١٩١٤ إلى ١٩١٨، اهتز احتكار الرجل للعمل السياسي، واكتسبت المرأة خلال هذه المرحلة نفوذاً لا يستهان به، وتعيين مستشارين محليين من النساء والاعتراف بالخبرات النسائية في مجال السياسة الصحية والاجتماعية ليس إلاّ دليلاً على هذا النفوذ المكتسب. كما تم دمج ثلاثة من النساء في وزارة الخارجية ليعملن كسكرتيرات في حكومة الجبهة الشعبية. لكن هذا كله لم يكن إلاّ مظهراً من مظاهر موضة الديمقراطية المزيفة التي سادت في مرحلة من العزلة ووجوب تحمّل الكثير من المسؤوليات، وعلينا أن لا ننسى حجم الحزن وثقله في تلك المرحلة والمحاربين القدماء، وكذلك قوة التفكير السياسي والاجتماعي حول الاختلاف الضروري بين الجنسين، وهذا يعني أن التحولات الكبيرة المتعلقة بوضع المرأة سوف تأتي لاحقاً.

قراءة سورية لكتاب «اللغز الأنثوي»

• ضحى العاشور

تبدأ (بيتي فريدان) مؤلفة كتاب اللغز الأنثوي فصلها الأول بعنوان: «المشكلة التي لا اسم لها»، إذ من الطبيعي تحديد المشكلة أولاً، ليصار إلى معالجتها. لكن ماذا لو كانت هذه المشكلة عصية على التحديد! تمسك الكاتبة بأيدي قرائها وجمهورها (فهي رئيسة المنظمة النسائية الوطنية في أمريكا)، وتأخذهم معها خطوة خطوة في طريق بحثها عن ذاتها كامرأة/إنسانة، هذه الطريق التي قادتها إلى رؤية فضاء الفكر المرتبط بتحرير المرأة والمجتمع ككل.

في سيرة بحثية علمية نظرية وعملية مبنية على القراءات النقدية والبيانات والاستبيانات والملاحظات والإحصاءات، متداخلة مع السيرة الشخصية، تشيد فريدان بناء مكوناً من أربعة عشر فصلاً، استغرق العمل فيه خمس سنوات، لتكشف عن ماهية اللغز الأنثوي المتمثل بالصورة النمطية التي أنتجها المجتمع الأمريكي في الخمسينيات للمرأة/الأم وربة المنزل السعيدة، المرأة الجميلة بفضل تطور صناعات التجميل وذات الشباب الدائم! وأمّ الأولاد الذين تحرص على تقبيلهم والحفاظ عليهم بقربها، والزوجة دائمة الابتسام لزوجها المنهك بتأمين البيت الفسيح والسيارة والأقساط ومستلزمات بقاء الأسرة وربّتها في نعيم العطور والأناقة والبهجة. هذه الصورة/اللغز لم تكن كافية لتجلب الرضى الذاتي للمرأة ولا لزوجها أو لأطفالها، ولا للمجتمع بالطبع، إذ تجد الكاتبة أن «المرأة الأمريكية عموماً كانت تستلقي في الليل إلى جانب زوجها، خائفة أن تطرح السؤال الصامت المثير للغيظ والألم: أهذا كل شيء؟!». لتجد الإجابة: «كنت أنا وكل امرأة عرفتها وكذلك الأطباء والخبراء النفسيون والمعلمون و... كل المجتمع نعيش كذبة»، كذبة مقنعة بصورة المرأة اللغز الأنثوي الفاتن، والذي تكشف حقيقته على أنه «تطفيل المرأة ومنعها من النمو واكتساب هوية» عبر تسفيه عقلها وروحها، وإغراقها باهتمامات عوالم خيالية من السحر والمزركشات والحيوانات الأليفة وملاطفة الأطفال، دون بناء علاقة تواصل وتفاعل مع المحيط الأسري أو المجتمعي. وإذا كان هذا حال المرأة المتعلمة تعليماً جامعياً أو أدنى، فإن حال النساء من الطبقة الفقيرة أشد بؤساً، إذ يعانين من تردي أوضاعهن المعيشية وعملهن المجهد والقليل المردود خارج المنزل، بالإضافة إلى حسرتهن الدائمة من وجود الهوة السحيقة بين واقعهن وبين إمكانية الوصول إلى المثل الاجتماعي الأعلى: اللغز الأنثوي.

مقاربات مشروعة:

ـ تعزي فريدان تراجع حقوق المرأة وحرياتها، إلى الحرب العالمية الثانية وتداعياتها التي شكلت عامل ضغط كبير على المرأة الأمريكية، ما جعلها مستعدة لملاقاة ميل الذكور العائدين من الحرب إلى الحصول على العناية والرعاية والاهتمام عبر الزواج وإنجاب المزيد من الأطفال (كانت الأم الأمريكية لا تنجب أكثر من طفلين وسطياً في العشرينيات من القرن الماضي، بعد الحرب أصبحت تنجب وسطياً خمسة أطفال!).

وتذكر فريدان دعوات وسائل الإعلام الذكوري ونصائح الأخصائيين الاجتماعيين والأطباء للنساء: «ينبغي أن تعودوا إلى منازلكم، فمن سيطبخ الحساء ومن سيعتني بالأطفال، ومن سيستقبل الزوج».

تظهر التجارب التي باتت متكررة في التاريخ وفي واقع البلدان التي شهدت موجات الربيع العربي أنه تم التعامل مع المرأة باعتبارها خزاناً احتياطياً للقوة العددية والعضلية والاستعراضية، دون الارتقاء إلى مستوى اعتبارها شريكاً أساسياً في الحياة اليومية والعمل والحلم، ما يرتب على المرأة السورية اليوم تحديد مشاكلها ومعوقات تقدمها وتطلعاتها وعدم التواني في عرض قضيتها وشرحها والمطالبة بحقوقها دون هوادة.

ـ الجميع في أمريكا كانوا يرون أن ثمة مشكلة في وضع المرأة، الأطباء، المفكرون والإعلاميون كانوا يرون مظاهر المشكلة: عدم الرضا في الزواج، عدم رضا الأطفال، الطلاق، التراجع الدراسي عند اليافعين، السمنة والكسل والمراجعة المتزايدة لعيادات الأطباء النفسيين. وقد نسبوا المشكلة إلى مجهول سمّوه: متلازمة ربّة المنزل!. «برأي المجتمع وخاصة ذكوره العائدين من الحرب والذين استعادوا السيطرة على وسائل الإعلام والتعليم وغيرها، أن تعليم النساء مشكلة، حياتهن المهنية مشكلة، اهتمامهن بالسياسة مشكلة، حتى الذكاء والشغف والرغبة الجنسية كلها مشاكل.. وحلّها ممكن بصبغ الشعر

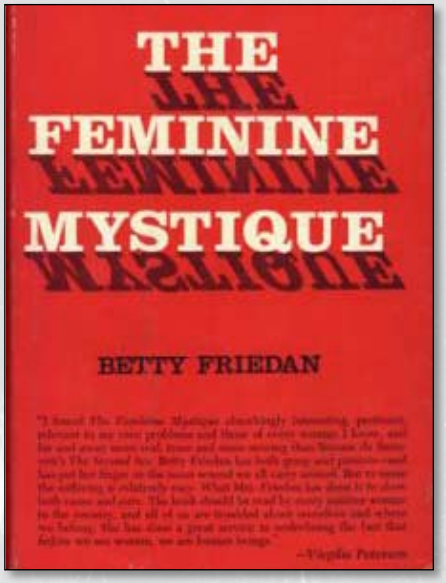

بالأشقر أو إنجاب طفل جديد أو الذهاب في إجازة..». وهكذا تم تجريب توجيه التعليم في خدمة اللغز الأنثوي، أي تعليم الطالبات التردد والخجل والحفظ والمثابرة لحين الحصول على زوج! ناهيك عن ازدراء تعليم الفتيات أساساً، ما أدى إلى انخفاض سن الزواج ليصل إلى ١٧ سنة.

أمام الفشل المتكرر في حلّ المشكلة، تمت إعادة الاعتبار للتعليم لكن بصورة منقحة، أي تعليم الكبيرات بعد أن ينهين واجبات الأمومة! وهنا تذكّر الكاتبة بشعارات الموجة النسوية الأولى عام ١٨٤٨: التعليم أولاً، ثم حقوق الملكية للمرأة (حقها بالاستقلال الاقتصادي، حيث كان يعتبر دخل المتزوجة حقاً للزوج)، ثم حق الاقتراع (الانتخاب).
وبمقاربة مع حال النساء السوريات، يتضح أن نسبة الأمية المتفشية بين النساء تزيد ثلاثة أضعاف عن نسبتها بين الرجال قبل الثورة، والوضع اليوم يزداد تفاقماً نظراً لنزوح أكثر من ثلث سكان سوريا ودمار المدارس واستخدام قسم منها كملاجئ أو كحصون عسكرية للمتقاتلين، ما يطرح سؤالاً كبيراً عن أولوية التعليم للإناث خاصة، مهما كانت العقبات، كجزء من حق الحياة: حياة الجسد والروح والعقل، ناهيك عن نوعية التعليم التي تحتاج إلى «ثورتها» الخاصة.

ـ تستعرض الكاتبة تحت عنوان: «الرحلة الحماسية» تاريخ الحركة النسوية الإصلاحية في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم عموماً، مستعيدة صور نضال الجدات الأوائل وكفاحهن المرير في سبيل أن يتمتع العالم بما هو عليه اليوم كإرث إنساني عام. وكم كان مضنياً وشاقاً ذاك الجهد وتلك التضحيات التي بُذلت لولا الحماس الذي تمتعت به رائدات الحركة النسوية، اللواتي قمن بمئات حملات التوعية والخطب، واقتحمن كل ميدان بوسائل بدائية، وواجهن النقد والسخرية والتعرّض لكراماتهن والتهجم على منابرهن، والنيل منهن بكل وسيلة قذرة وصولاً إلى السجن والتعذيب، ما يحيل إلى ضرورة التعامل الجدي والناضج مع قضية المرأة والحقوق والحريات عموماً، والتي تقتضي فهم حدود القضية وعلاقتها بالسلطة السياسية الذكورية وثقافتها وإعلامها، وما يترتب على ذلك من استراتيجيات وخطط عمل وتضحيات وعمل دؤوب طويل الأمد، لا يقف طموحه عند صوغ المكتسبات في قوانين، بل يسعى إلى متابعة تنفيذها وتطويرها والتصدي لمحاولات الالتفاف عليها. الأمر الذي أعادت تأكيده مجريات الربيع العربي في كل مكان وفي سوريا، حيث جرى إعطاء الوعود العامة تحت ضغط الحركة الشعبية وتصاعد قوتها وحيويتها، لكن سرعان ما تم التراجع عن هذه التصريحات والكلام الغائم خاصة من قبل القوى الإسلامية من الإخوان المسلمين والسلفيين ورجال الدين المتشددين، ناهيك عن القوى المتزمتة التي لم تكلف نفسها عناء الادعاء أصلاً. ولم تبدِ القوى المعارضة الأخرى حساسية خاصة تجاه وضع المرأة، واختارت غض النظر مقابل عدم شق صفوف الثورة، ليتضح لاحقاً أن الحقوق والحريات كلّ لا يتجزأ.

ـ تلاحظ فريدان أن الحركة النسوية تقوى ويشتد ساعدها كلما ارتبطت بهموم مجتمعها وكلما انحازت إلى المظلومين والمقهورين في المجتمع. وتذكر أن الناشطات النسويات في أمريكا كانوا مساهمات في الحركة من أجل إلغاء العبودية في القرن التاسع عشر، كما وقفن ضد الحرب على فييتنام، ما يعني مرة أخرى أن قضايا المرأة جزء من قضايا المجتمع، بل هي من أهم قضايا المجتمع، إذ يقع على عاتق المرأة نقل ثقافة المجتمع إلى الأجيال، ما يستوجب أن تكون مشاركة فعالة في إنتاج هذه الثقافة وتعميمها.
ولعل الثورات والانتفاضات والاحتجاجات في حياة المجتمعات فرصة مواتية للكشف عن الأخوة الإنسانية بين البشر رجالاً ونساء، وعن وحدة معاناتهم وصراعهم ضد السلطات الظالمة المنتهكة للحقوق والحريات، وبالتالي حاجة نصف المجتمع لنصفه الآخر في فهم قضاياه ومؤازرته والدفاع عنه. وتبرز أصالة كل حركة اجتماعية بمقدار ما تعبر عن تطلعات وآمال مجمل المظلومين في واقعها. وفي التجربة السورية لم يتم التعامل مع وضع المرأة كجزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان وحرياته المرتبطة بقضية الكرامة والحرية على المستوى الوطني.
ـ تستعرض فريدان في خاتمة كتابها ميل السلطات الدينية والإعلامية والسياسية السائدة إلى الوحدة في الخطاب والاستراتيجيات تجاه معاداة الحركات النسوية، عبر توجهين رئيسيين، الأول: يركز على الأخطاء

والثغرات ويضع العقبات ولا يتوانى عن التشهير والتقبيح والمبالغة في الخطاب الذي يماهي بين المرأة ووظائفها الطبيعية المنسوبة لها في القالب الذكوري (طاعة الزوج والحب الأمومي)، ويرى في كل امرأة/إنسان «مسترجلة، آكلة رجال، حكم التنانير، عانس، عصابيات ضحايا للحسد القضيبي، مكبوتة جنسياً..»، والتوجه الآخر: تشجيع النساء على التطرف في التعبير عن أنفسهن عبر ظواهر عنفية تجسد الحقد على الرجال ونشر الكراهية ضدهم، ظاهرة السحاق.. بما يشّوه صورة المرأة/الإنسان ويعزلها عن محيطها النسوي نفسه وعن مجتمعها عموماً. وترى فريدان أن ثمة أعداداً غير ذات بال من النساء سلكن هذه الدروب في بدايات عهد الحركة النسوية التي لم تستطع التمييز بين الرجل/الإنسان، والرجل المقولب بالقالب الذكوري/المظلوم أيضاً، وبين السلطات الذكورية التي تستغل الرجل والمرأة بما يكفل تأبيد سيطرتها، لتجد تشابهاً مثيراً مع وسائل السلطة السياسية في تشويه حركة السود في أمريكا عبر دّس المتطرفين العنفيين فيها والتركيز عليهم في الإعلام، محذرة من خطر هؤلاء المتطرفين والمتطرفات ومدى إساءتهم لأي حركة تحرير بصرف النظر عن نواياهم ودوافعهم ومن يقف وراءهم. مرّة أخرى يظهر التاريخ هنا مليئاً بالتجارب والعبر المتراكمة والتي ينبغي على أي حركة تحرير هضمها واستيعابها والحذر من تكرار المآسي وبذل التضحيات في غير مكانها.

ـ تخلص الكاتبة إلى نتيجة مفادها أنه من دون كشف اللغز الأنثوي واللغز الذكوري أيضاً، أي القوالب التي سجنت فيها السلطات الذكورية الإنسان رجلاً وامرأة عبر النمطية وتقسيم العمل، لن يتحرر المجتمع بكل طاقاته وإمكاناته ليعمل معاً على نهضة الأمة بما يتيح تحقق الإنسان وسعادته مع شريكه من الجنس الآخر ومع شركائه في الحياة. وتقترح عدداً من الإجراءات والحلول الممكنة حسب واقعها، وفي طليعتها إعادة النظر في تكوين الأسرة ودورها في التنشئة واعتبار الأولاد مسؤولية ثلاثية الأقطاب بين الزوجين والمجتمع، وفي حق الطلاق، حق الإجهاض، حق التبني.. إلخ.

ولعل الكثير من الطروحات تستدعي الوقوف عندها في واقعنا السوري الراهن، حيث عملت الحرب على تهديم بنيان الأسرة عبر النزوح والهجرة وخسارة أعداد هائلة من الرجال والشباب في القتال أو الموت أو الاعتقال أو الخطف أو ندرة فرص العمل.. ما يعني أعداداً متزايدة من الأرامل والمطلقات، أو المعلّقات مجهولات المصير والشابات من دون زواج، ناهيك عن ضحايا الحرب من المغتصبات والمعنفات وصاحبات العاهات والفقيرات وغير المتعلمات والمتزوجات قسراً تحت السن القانوني، الأمر الذي يشكل ضغطاً ثقيلاً على كاهل المرأة التي تتراجع حقوقها أساساً في ظل الحرب وفي ظل سيطرة فكر ظلامي متشدد يعمل على إقصائها من الوجود في الفضاء العام بشتى السبل. كل هذه المسائل ومتعلقاتها تستدعي النظر إليها بجدية وصوغ رؤية وخطط عمل تتيح إيجاد حلول اجتماعية بأفق ثوري يؤسس لإنتاج ثقافة تحاكي ثورة الحرية والكرامة.

ـ من خلال تتبع منهجية فريدان في بحثها عن

مشكلتها ومشكلة المرأة عموماً، يتضح حجم الجهد الذي كرسته لهذا العمل، والذي ساندها فيه الكثير من الأشخاص رجالاً ونساء، حرصت على ذكرهم وشكرهم في كتابها. لقد بحثت في الكتب الاجتماعية والنفسية والسياسية، درست تاريخ الحركة النسوية، ناقشت فرويد، واعترضت على لوحات الرسم والطقوس الدينية والأساطير، ناقشت صور وسائل الإعلام وانتقدت نفسها كصحفية وكأم وزوجة، شاركت في منديات ومؤتمرات، ووزعت استبيانات وأعادت مراجعة الإحصاءات المتوفرة وقرأتها من وجهات نظر متعددة، طلبت مساعدة الأساتذة وأطباء النفس، وتعرضت للسخرية والإحساس بالذنب حدّ الاعتقاد بأنها مجنونة.. إلخ، رحلة تصفها لتكون دليلاً لكل امرأة ورجل كما تقول الكاتبة، ليبدأا طريق تحديد المشكلة وصولاً إلى حلّها، ما يمكن ترجمته في واقعنا السوري إلى تجنب الاستسهال والتبسيط ونسخ التجارب والعفوية في تشخيص الواقع ومعطياته.

ـ مهما بدا بطيئاً ومتعثراً عمل دور النشر والطباعة في سوريا اليوم، إلا أنه يؤشر على سعي جاد لالتقاط بوصلة قلّ استخدامها في التفاعل مع معطيات الوضع السوري الذي يزداد تأزماً، أي استخدام المعرفة والفكر المتراكم منه والذي ما زال قيد الإنتاج، بما يتيح إمكانية بناء تصورات أو العثور على ممكنات تفتح أفقاً جديداً أمام سوريا الغارقة في مستنقع العنف والدم والتشدد والكراهية. وفي هذا السياق ظهرت دار الرحبة، مقدمة أولى مطبوعاتها: «اللغز الأنثوي».

السوريون .... من الطفولة إلى الرجولة

• زياد إبراهيم

بالأمس جاء ابن الجيران مع والدته وتقدموا لخطبة سمر...هكذا قالت لي والدتها على الهاتف حين أردت الاطمئنان عنها وعن اطفالها.

سمر التي تركتها بداية الثورة في ربيعها الخامس عشر أصبحت اليوم في الثامنة عشر من عمرها وقد بلغت السن القانونية. صورة سمر التي أرسلتها لي والدتها بالأمس لا تشبه ابداً صورة سمر التي مازالت عالقة في ذاكرتي يوم مغادرتي! أنا أمام صورة لشخص آخر.

ثلاث سنوات كفيلة بتغيير سمر وملامحها ووعيها وفهمها للحياة، هذا إن كانت السنوات مجرد فترة اعتيادية من الزمن تمر على شيء ما، أما إذا كانت السنوات الثلاث كالسنوات التي مرت على سوريا، فإن التغيّر يكون من نوع آخر.

عندما كان خليل يهتف للحرية والكرامة في تظاهرات ريف دمشق كانت ملامح الطفولة لا تزال مطبوعة على وجنتيه، فكانت هتافاته تملك من البراءة مالا يملكه يافع في الرابعة عشر من العمر، أما اليوم فخليل لم يترك عملا إلا وقام به لخدمة أهدافه البريئة التي نادى بها مع بداية الثورة. فعندما ترى أسلحة تلك الكتيبة نظيفة، فاعلم بأن خليل قد سهر الليل وهو ينظفها بيديه نفسها التي كان يشكل بها القبضة ويدفعها للأعلى ويهتف حين كانت ملامح البراءة مرتسمة على وجهه.

خليل لم يحمل السلاح ولم يقاتل، لكنه كان يذّخر مخازن الرصاص للمقاتلين على الجبهة، وينقل لهم العتاد في أرض المعركة، وقضى عامين من عمره وهو يخدم من يسعى إلى تحقيق ما كان يهتف له.

بالأمس أمر الطبيب بإخراج خليل من المشفى الميداني بعد تعافيه من إصابة في إحدى المعارك وكأنه مكتوب على ابن السابعة عشرة أن يبدأ مراهقته بطريقة مختلفة عما اعتدنا عليه.

ثلاث سنوات مرت على الثورة السورية، ومعظمنا لازال ينظر إلى مشاكله الآنية، ويستفيض في المراقبة والتحليل ومتابعة أخبار المناطق، دون أن تلفت انتباهه بنية المجتمع التي بدأت بالتغير بشكل لم يخطر على بالنا يوم بدأنا ثورتنا.

هل ندرك اليوم ان خليل وسمر هما نواة لمجتمعنا الذي تنتظره أيام عصيبة عندما تضع الحرب أوزارها؟ وهل من الصحيح أن هذا الأمر مؤجل، أم إنه بات ملحّاً علينا التفكير جدياً في وضع حلول للخطر المحدق بمجتمعنا بعد أن فشلنا في إيقاف الأسباب التي أدت إلى ذلك؟

إن الناظر إلى وجه خليل اليوم قد يرى فيه عنفوان الشباب ومقدرته على التعايش مع الظروف التي فرضت عليه، وقد يغيب عن ناظريه شاربه الصغير الذي خط على وجهه، وتغيّر صوته الذي أصبح أجشَّ بعد مروره في مرحلة البلوغ التي ينظر إليها الكثير من الأطباء والعارفين على أنها مرحلة دقيقة من مراحل بناء الشخصية، هذه المرحلة التي تُحرق مع مراحل أخرى في مسيرة النمو لأفراد مجتمعنا المتعب.

سمر التي كنت أنظر إليها كطفلة قبل مغادرتي، حرقت مراحل من عمرها قد نَصفها بأجمل المراحل التي نمر بها في حياتنا، وتوصف أيضاً بأصعبها.

بات المجتمع السوري اليوم مهدداً بتغيير التركيبة البنيوية لأفراده، والتي سوف يكون لها أثر سلبي في المراحل القادمة التي ينشغل معظمنا في تحليلها ومقاربتها، ناسين أو متناسين التوجه لأنفسنا بالسؤال المهم الذي يقول: مجتمعنا الى أين؟

ابن السادسة عشرة في درعا أصبح مقاتلاً على الجبهة، وابنة التاسعة في حمص تعمل مع والدتها بتكفين موتى الحصار، وأخرى في دير الزور تعمل من أجل البقاء على قيد الحياة، هذا عدا عن السوريين في المخيمات خارج سوريا، والمصاعب التي يعيشونها.

نحن اليوم مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالنظر ملياً في مجتمعنا، والمشاكل الاجتماعية التي نشأت خلال السنوات الماضية، ومطالبون أكثر بالاهتمام بأطفالنا الذين حرقوا مراحل من أعمارهم، وباتوا يقومون بأعمال لا تتناسب أبداً مع أعمارهم لينتقلوا من الطفولة إلى الرجولة بخطوة خطوة قصيرة لا أكثر.

كلنا نذكر تلك الطفلة التي كانت تعيش في مدرسة يكفن فيها الموتى ويتم تجهيزهم للدفن، والتي كان حلمها أن تأتي إلى المدرسة ليلاً لترى ماذا تفعل المدرسات.

اليوم وعند سؤال تلك الطفلة: هل تخافين من الموت؟ أجابت بلا، فقد كان الموت أمراً أبسط بكثير مما كانت تتوقع.

* الصورة لأطفال من داريا يعملون من أجل لقمة العيش، بعدسة زياد ابراهيم.

آذار والأسئلة (الكرديّة) المزمنة

• بيروز بريك

أثار الملف الكردي في سوريا عشرات الأسئلة لدى المتتبعين ولدى السوريين (معارضة وموالاة ورماديين)، وارتبطت معظم الأسئلة بمدى «ولاء» الكرد لسوريا، وهل يحملون «مشروعاً انفصالياً» أم لا؟ وعن «الفتور الكردي» ضمن الثورة، وعن سبب بقاء مناطق الكرد بمعزل عن القصف والتدمير!! وعن أسباب الانسحابات المتكررة من مؤتمرات المعارضة، وأسئلة أخرى عن دور إقليم كردستان العراق وقياداته وأحزابه في الملف الكردي السوري. بينما كان السؤال الأبرز عن ماهية الأحزاب والهيئات المرتبطة أيدولوجياً بحزب العمال الكردستاني PKK واستحواذها على القرار العسكري والسياسي على امتداد خارطة التنظيمات والهياكل العديدة ضمن المشهد الكردي في سوريا.

ولا تبقى هذه الأسئلة، وغيرها الكثير، في نطاق الاستفسار والسعي للإحاطة، بل كثيراً ما تطلق لإثارة الزوابع أو للتلطي خلفها بينما يسعى البعض (وبشكل حقيقي) لمعرفة ما يجري والاطلاع على مجريات الأحداث والمواقف.

ما يقابل هذه الأسئلة في شوارع قامشلو ليلة النوروز هو آلاف الأعلام وعشرات المشاعل ومراكز عديدة للتجمهر والاحتفال، علوا للتصفيق والغناء، مسيرات ليلية بالسيارات، صور للزعماء والقادة الكرد، دخان كثيف يعلو سماء المدينة الأكبر بين مدن الكرد المتلحفة بأغطية خضراء أغدق الربيع عليها هذا العام، إذ بلغ جمال الطبيعة ذروته في يوم نوروز المترافق مع الانقلاب الربيعي.

نوروز هو العيد القومي الكردي الذي تبرز فيه مضامين قصة (كاوا الحداد)، الذي حطم رأس الطاغية (أزدهاك)، القصة التي تعبر عن حدث تاريخي متمثل في إسقاط الحكم الآشوري ودحره على يد الميديّين ٦١٢ ق.م، وهو التاريخ الذي يعتبره القسم الأعظم من الكرد رأساً للسنة الكردية. وربما كان التعطش الكردي للتحرر والانعتاق، منذ ذلك الوقت، الدافع وراء إشباع رغبة الظهور والاقتناء لدى طفل يحمل علماً كردياً يلوح به بفخر، وهو الذي لا يعرف عن القومية والتمايز والاختلاف سوى ما تلقّفته أذناه من أحاديث للآباء والأخوة والجيران، أوما استقر في ذهنه من صور تبثّها القنوات الفضائية الكردية.

في ظل مناسباتُ آذار المتعاقبة باتت مظاهر توكيد الذات القومية الملمحَ الأبرز، الذي يبدو حاداً ومتعاظماً في ظل أجواء الحرب والجبهات التي ما تزال مفتوحة في سري كانييه (رأس العين) وكوباني (عين عرب)، بين وحدات حماية الشعب YPG وداعش، وهي التي تنقلنا إلى السر وراء تنامي هذه المشاعر والمظاهر القومية الصارخة لدى الكرد في المنطقة، فالمشهد الكردي المفتوح على عشرات الاحتمالات انبنى على تراكم من السنين العجاف وصولات من العربدة الأمنية، التي أسهمت في إنتاج فرادة لهذا المكون المشهور بخصلة العناد والصرامة والدخول في معترك السياسة، بالرغم مما ناله من إذلال و تهميش وإفقار، فعلى بعد أمتار قليلة من المكان الذي سقط فيه ثلاثة شبان مضرجين بدمائهم ليلة النوروز سنة ٢٠٠٨ برصاص الأمن السوري، وقف صبي كردي وهو يلبس الزي الفلوكلوري رافعاً علماً كردياً زاهياً تتوسطه شمس صفراء في ٢٠١٤.

يؤكد متابعون وصحفيون أن ما نعايشه ليس إلا بدايات لصعود قومي كردي وشيك، يبرز ضمن خرائط الصراع القائمة وصولاً إلى منتهيات «حتمية»، فعلى الرغم من الخلافات الحادة التي تظهر بين الكرد، يتفق الجميع على أن الحق الكردي مقدَّم على ما سواه، تعزز هذا التوجه مع ما أفرزته الثورة/الأزمة من تناقضات حادة موجودة في التركيبة الاجتماعية والديمغرافية السورية التي عصفت بها الطائفية والتطرف. وليست مهرجانات الإعلام والأغاني الطافحة بالمفردات والتعبيرات القومية بمعزل عما ذُكر، وعن تراكمات الكبت الناجم عن سياسات الصهر القومي التي اتبعها النظام عبر ذراعه الأيديولوجية المتمثلة بحزب البعث، وكذلك أجهزته الأمنية الضاربة، بحيث يثير هذا الخليط المعقد من الأحداث والمواقف أسئلة معقدة، لكنها راهنية تثار بمجرد التجوال في شهر آذار ضمن أية مدينة كردية في سوريا. من جملة التناقضات الهائلة في هذا الصدد أن ما يتعلق بمصائر الكرد

وحيواتهم ومسالكهم في السياسة والتحالفات والعداءات سيبقى محفوفاً بعشرات الأسئلة، كتلك التي تتضمن «انحدارهم من أصلاب الجن»، أو كونهم «أتراك الجبال»، أو «إسرائيل الثانية»، ولا يتعدى فهم أغلب «الناشطين» الناشئين في أجواء الثورة/الأزمة سقف ما سلف من تنميطات عن الكرد، ولطالما مارس جزء منهم «تقية سياسية» في حضور ناشطين أو سياسيين كرد، وبدؤوا برصف الإطنابات والمدائح، وسرعان ما تتزعزع هذه «الثقة» ويكشر المدّاح عن أنيابه الفئوية بمجرد انسحاب الكرد من مؤتمر للمعارضة أو انكسار لكتائب إسلامية أمام وحدات حماية الشعب YPG. ولا أتهم هؤلاء الناشطين فقط، فللكرد أيضاً ولناشطيهم مثالب وأخطاء جمة، إذ سرعان ما يقع معظمهم تحت رد الفعل، ولهم قدرة غريبة على ترديد خطاب مكرر مقرون بدعوات الأسبقية في مواجهة النظام ومزاولة العمل السياسي، بينما تكمن المشكلة الكبرى في «النخب» وأدائها، إذ يمتلكون الدور الأكبر في شيطنة الأسئلة وتحييرها، سعياً لإلباسها لبوساً خبيثاً.

السعي نحو إيجاد المشتركات في الحوار والتعاطي، والتنبه إلى نزع المستفز من الأسئلة ضرورة لا محيد عنها ضمن بيئة يتهددها النزاع الأهلي. وربما يأتي تداخل الاختصاصات وكثرة انتسابات الشخص الواحد لأكثر من هيئة أو محفل أو حزب وبالاً على الحوارات والتواصل بين المختلفين من أبناء البلد الواحد، إذ لا يمكن أن يكون الصحفي مهنياً وهو عضو في حزب أو هيئة سياسية، ولن يتسنى لأي ناشط أو متتبع أن يلتقط جوهر الأجوبة العديدة ضمن سياق التحليل والبحث، دون أن يتحرر من عقده ومن الحواجز النفسية الناشئة عبر الزمن، إذ لا تصح المعادلة عندما يتباكى «ناشط» على الثورة وعلى المدنيين في حلب وحمص وريف دمشق، وهو مؤمن بل موقن أن صدام حسين هو «أسد العرب» و«حامي العروبة»، وينطلق من هذه البوابة ليحاكم الكرد ويحاسبهم على خياراتهم وأدائهم!!!!

الملف الكردي في سوريا شائك ومتداخل مع ملفات أخرى كثيرة داخلية وإقليمية وربما دولية، والتعاطي معه ضمن إطلاق صور نمطية أو مصادرات على الواقع أو إسباغ أحكام قيمة محددة فيه غبن كبير ولا يساعد، في المطلق، على بناء مشتركات، بل يسهم في نسف ما هو قائم.

السيـداو

لأهميتها، تقوم مجلة «سيدة سوريا» بنشر اتفاقية السيداو على أجزاء، بدءاً من العدد الثاني.

CEDAW

المادة ١٠:

تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة، لكي تكفل لها حقوقاً مساوية لحقوق الرجل في ميدان التربية، وبوجه خاص لكي تكفل، على أساس المساواة بين الرجل والمرأة:

(أ) شروط متساوية في التوجيه الوظيفي والمهني، والالتحاق بالدراسات والحصول على الدرجات العلمية في المؤسسات التعليمية على اختلاف فئاتها، في المناطق الريفية والحضرية على السواء، وتكون هذه المساواة مكفولة في مرحلة الحضانة وفي التعليم العام والتقني والمهني والتعليم التقني العالي، وكذلك في جميع أنواع التدريب المهني.

(ب) التساوي في المناهج الدراسية، وفي الامتحانات، وفي مستويات مؤهلات المدرسين، وفي نوعية المرافق والمعدات الدراسية.

(ج) القضاء على أي مفهوم نمطي عن دور الرجل ودور المرأة في جميع مراحل التعليم بجميع أشكاله، عن طريق تشجيع التعليم المختلط، وغيره من أنواع التعليم التي تساعد في تحقيق هذا الهدف، ولا سيما عن طريق تنقيح كتب الدراسة والبرامج المدرسية وتكييف أساليب التعليم.

(د) التساوي في فرص الحصول على المنح والإعانات الدراسية الأخرى.

(هـ) التساوي في فرص الإفادة من برامج مواصلة التعليم، بما في ذلك برامج تعليم الكبار ومحو الأمية الوظيفي، ولا سيما البرامج التي تهدف إلى التعجيل بقدر الإمكان بتضييق أي فجوة في التعليم قائمة بين الرجل والمرأة.

(و) خفض معدلات ترك الطالبات الدراسة، وتنظيم برامج للفتيات والنساء اللاتي تركن المدرسة قبل الأوان.

(ز) التساوي في فرص المشاركة النشطة في الألعاب الرياضية والتربية البدنية.

(ح) إمكانية الحصول على معلومات تربوية محددة تساعد على كفالة صحة الأسر ورفاهها، بما في ذلك المعلومات والإرشادات التي تتناول تنظيم الأسرة.

بورتريهات السجن

دمشق*

• سمر يزبك

الأيام الأربعة تلك ليست بالأمر السهل، وربما لن تجد (ع.م) الوقت الكافي في الشهور التي تلتها للتفكير فيها. الوقت لم يسمح بذلك، لكنها لاحقاً ستكتفي بالليالي الطويلة لمحاولة استعادة ماحصل، وسوف تفكر، وهي تنتظر نمو شعرها، لتعيد حلاقته من جديد، وتتذكر أن عليها غضّ البصر عن تساقطه. في المرة الأولى وجدت على البطانية، التي نامت علهيا خصلةً كثيفة، وأصيبت بالذعر، ثم لم تعد تحتمل، وطلبت من السجان حلاقة شعرها على الصفر. قالت بالحرف الواحد: «عالصفر.. ولا حتى سنتيمتر واحد». حدث هذا في فرع المخابرات الجويّة، ولكن القصة كانت قد بدأت قبل ذلك بكثير، في فرع فلسطين.

كانت (م.ع) في الثانية والعشرين من عمرها، تدرس الطب في مدينة دمشق، ذات جمال لافت، بيضاء بشعرٍ أسود، طويل وغزير، وعينين حوراوين. تغنّي وتدندن دائماً، وهي تقوم بأداء واجباتها، أو حتى وهي تمشي لوحدها في الشارع، وأثناء المظاهرات، أثناء الملاحقة، وعندما صارت تجمع حولها النساء في المهجع، بعد أشهر طويلة، كانت تغني.

عندما بدأت المظاهرات، لم تترك مظاهرة في حي الميدان وكفرسوسة، إلا وشاركت فيها. شاركت في كافة أشكال الحراك الشعبي ضد نظام الأسد. كانت ذكية ومتوهجة، ولاتتوقف عن العمل، ويعتمد عليها. كان حرصها على البقاء خارج السجن مدعاة لاشتباه الهوس في تصرفاتها اليومية، ولم تكن لتعتقل، على الرغم من المراقبة والملاحقة الشديدة من قبل أجهزة المخابرات، لولا أن تم ضبطها عبر جهاز «الراشدة»، وهذا الجهاز يتم استخدامه من قبل فرع المخابرات الجوية، لمراقبة المكالمات الهاتفية، وتم عبره اعتقال الكثير من النشطاء، حيث يتم تحديد مكان الشخص عبره. استدلوا على مكانها، واعتقلوها، حدث ذلك في الشهر العاشر سنة ٢٠١٢.

اقتادوها لفرع فلسطين في دمشق، وهناك بدأ التعذيب، وضعت في منفردة، متر بمتر، عبارة عن حفرة سوداء للتغوط، مرحاض على شكل حفرة في الأرض، تخرج منه الجرذان بشكل متواصل، والخراء يطفو منه على بقايا المساحة الصغيرة، لم تكن تستطيع النوم، تجلس وتثني قدميها، وكان جمالها الاستثنائي كارثة إضافية، لم تحسب حسابها.

بدأ التعذيب منذ الدقائق الأولى لدخولها فرع فلسطين، جروها من شعرها، ركلوها في كافة أنحاء جسدها، داسوا على عنقها وهم يتلفظون بالكلمات النابية. أحدهم كان يصرخ «بدي دعوس هالوجه الحلو»، لكنها لم تتفوه بحرف، كان الضرب يستمر حتى يغمى عليها، ثم يعودون بها إلى زنزانتها، تستيقظ، وتبدأ من جديد حفلة التعذيب.

بقيت في المنفردة تسعة أيام تحت التعذيب الذي وصل الليل بالنهار، كان المحقق نقيباً، اسمه محمد، لم تعرف عنه أكثر من ذلك، إضافة إلى أنه كان يطلب من مساعديه تعذيبها أمامه، كان يراقب فقط.

الغرفة التي خضعت فيها للتعذيب لم تكن غرفته التي ستعرفها لاحقاً، كانت عبارة عن غرفة سوداء تماماً، واسعة، فيها طاولة وكرسي، وضوء في المنتصف. المساحة واسعة في الغرفة بحيث يتنسى للمحققين جرّها على الأرض من شعرها. حتى تلك اللحظة، كانت قد قررت أنها لن تصرخ ولن تبكي، ولن تجعلهم يسمعون همسة منها.

في اليوم التاسع جاء السجان، وبهدوء طلب منها الاستحمام، كانت جملته بوابة سماء، لكنها السماء المؤدية إلى عالم الظلمات، قالت فيما بعد أنه لم يخطر في بالها ما حصل، ولم تستطع تصديق الأمر حتى اللحظة. استحمت، تركوها ساعة في الحمام. عندما خرجت من الحمام، لم يأخذها السجان إلى المنفردة القذرة، قال إن تحقيقاً ينتظرها. دخلت غرفة تحقيق النقيب محمد، وكان ذلك في اليوم التاسع.

بالكاد دخلت، رأته يجلس وراء مكتبه، وحولها اجتمع ثلاثة، بادر أحدهم بالسؤال الأول، وما إن همت بالإجابة، حتى تلقت ضربة حادة من الخلف، ثم غابت عن الوعي. كان هذا بعد الواحدة ليلاً بقليل، وفي تلك الساعات السوداء المعتمة، كموت مؤقت وحتى استيقاظها على قرصات وجع مؤلم في بطنها، كانت (ع.م) في عالم الأسرار والخفايا، فإلى جانب غرفة النقيب محمد، كان هناك باب جانبي، لغرفة أخرى، هي غرفة نومه، موضوع فيها سرير، وكراسي للجلوس وطاولة مستديرة صغيرة، تبدو مثل غرفة نوم هادئة وطبيعية وبسيطة. بداية استيقاظها اعتقدت أنها في حلم، لكنها وما إن فتحت عينيها، ووجدت نفسها بتلك الوضعية الغريبة فوق سرير النقيب محمد، حتى صرخت لأول مرة منذ تسعة أيام، صرختها الحادة تلك، جعلت السجان يدخل غرفتها مباشرة، وهي انتبهت في تلك اللحظة، أنها ممدة وعارية على سرير نظيف. وأن رجلاً يخاطبها باستحياء وهو

يطلب منها ارتداء ملابسها على عجل. أطاعت الأوامر بطريقة ميكانيكية، نزلت من السرير لتخفي عريها. وخرج السجان من الغرفة، لم ينظر إليها بالمطلق. ومنذ تلك اللحظة كان يحدثها وهو ينظر إلى مكان آخر، صار صوته ووجوده حيادياً، وبقي هكذا لأكثر من أربعين يوماً قبل أن يتم نقلها لفرع المخابرات الجوية. لكنه لم يعد بها إلى المنفردة. وضعها ضمن زنزانة أكثر اتساعاً وفيها مجموعة من النساء، وخلال الأيام الثلاثة التي قضتها قبل أن يتحول ألم أسفل بطنها إلى سكاكين حادة، لم تنبس بحرف، كانت صامتة، وتنام طوال الوقت، حتى إنها لم تتناول الطعام. كانت تتخيل نفسها نائمة، ويتناوب على اغتصابها عدة رجال. لم تعرف إن كان النقيب محمد فعلاً هو من قام وحده باغتصابها. أم تناوب رجال كثر على فعل ذلك. من الساعة الواحدة ليلاً، وحتى السابعة صباح اليوم التالي، السجينات طلبن طبيباً للفتاة الخرساء كما سمَّينها، وتم نقلها إلى غرفة خاصة بالحالات الإسعافية، وهناك تم حقنها بإبرة، قالوا لها إنها ستكفي لمعالجتها من آلام البطن، وهي لم تعترض، ولم تكن قادرة على الكلام، لكن الساعة التي قضتها بين الغرفة التي يسعفون فيها السجناء، والمسافة التي أوصلتها للمنفردة مرت خطفاً. لم تعد تذكر بعد سريان السائل الحارق من الإبرة في جسدها، لماذا لم يعودوا بها إلى غرفة السجينات؟ وجدت نفسها من جديد في المنفردة، التي قضت فيها الأيام التسعة الأولى. كانت تنتظر توقف الألم، لكنها وعوضاً عن ذلك غفت، واستفاقت صباح اليوم التالي، وهي ممددة عارية بنفس الوضعية على السرير في الغرفة الداخلية لمكتب النقيب محمد في فرع فلسطين. كان الألم أشد كثافة في منطقة حوضها بالكامل، وشعرت أن جسدها يؤلمها وكأنها تعرضت لضرب عنيف، هناك بعض الآثار الحمراء على كامل جسدها، التي تحولت مع مرور الأيام إلى كدمات زرقاء.

صرخت بشدة صرخات متتالية، وقفزت من السرير وهي تصرخ، وتشد شعرها وتلطم وجهها، كانت تصفع نفسها وتصرخ، عندما

دخل السجان طلب بهدوء واستحياء منها أن تتوقف عن الصراخ، لكنها لم تفعل، فدخل ثلاثة من الرجال ورموها فوق السرير وألبسوها ثيابها، ثم عادوا بها إلى غرفة السجينات، هناك صمتت نهائياً.

لم يعرف أي كائن بما حصل مع (ع.م) حتى تلك اللحظة، لكنها حاولت رؤية رئيس الفرع، ولم يسمح لها بذلك. امتنعت عن الطعام، وصارت عدوانية، تعض من حولها، حتى استطاعت مقابلة رئيس الفرع. كانت تخاف النوم، فكرت أن نومها يعني أن تستيقظ، وتجد نفسها مغتصبة من رجال لا تعرفهم، أو من نفس المحقق الذي انتبهت ولأول مرة رأته، أنه ينظر إليها بشهوانية، ولم تخبر من حولها بألم بطنها، لأنها خشيت أيضاً من أن يتم حقنها من جديد بأبرة مخدرة، لتصحو وتجد نفسها على السرير. لكنها استطاعت رؤية العميد رئيس الفرع، وعندما أخبرته بما حصل، طلب منها الصمت، وأن توكل أمرها لله، لأن

النقيب محمد هو قريب «الرئيس» بشار. صمتت، ولكن منذ تلك اللحظة، تركوها وشأنها، وتم نقلها إلى فرع المخابرات الجوية، لتبقى هناك حوالي السنة أيضاً، في تحقيق طويل ومستمر، حيث اتضح لها أنهم يعرفون عنها كل شيء، ويراقبون تحركاتها منذ فترة طويلة، وجعلوها تستمع لمكالماتها الهاتفية، لم تُضرب في فرع المخابرات الجوية، قالوا لها إن التعرض للنساء في هذا الفرع ممنوع.

لم تعرف الجميلة، طالبة الطب الذكية والمتفوقة حتى اللحظة، ما الذي حصل لها في الغيبوبتين المتتاليتين، لكنها واثقة أنه تم اغتصابها وبطريقة متتالية، وهي في غياب كامل عن الوعي، ولاتعرف ماذا فعلوا وعبثوا أثناء حفلات الاغتصاب تلك، كانت آثار الألم لا تترك لها مجالاً للتفكير بشيء، ما عدا أمر واحد، ظهر بشكل محسوس، بدأ شعرها الغزير الأسود يتساقط عندما وصلت فرع المخابرات الجوية، واستيقظت في أحد الأيام، لترى خصلة كثيفة من شعرها على البطانية، اعتقدت أنها تحلم، وأن رأسها مفصول عن جسدها، عندما طلبت أن يتم حلق شعر رأسها على الصفر، شعرت براحة شديدة، وكانت تراقب باستمرار السنتيمترات التي تسمح فيها لشعرها بالنمو، لتطلب منهم وبهوس وإلحاح إبقاء رأسها بدون شعر.

تقول إن هناك حالات أخرى تشبه حالتها في فرع فلسطين، لم تذكر الأسماء، لكن كل ما مرت به (ع. م) موثق، بالأسماء والتاريخ والأمكنة. بدءاً من لحظة الاعتقال، وانتهاءً بتفاصيل لون غطاء السرير، الذي ينام فوقه النقيب محمد، قريب «الرئيس»!

لم تعد (ع.م) معنية بأي شيء يخص حياتها القادمة. تقول إنها ماتت، كل مافعلته أنها خرجت للتظاهر سلمياً ضد نظام الأسد، وكانت مؤمنة بكل ما تفعله، قبل أن تجرفها الحياة إلى هذه الهاوية، الهاوية التي تقول إنها تشبه حفرة المرحاض في المنفردة.

*كل الصفات الشخصية المتعلقة بالفتاة غير حقيقية.

سبانخ سياسية..
عندما كان الاعتقال ترفاً

• تهامة معروف

إلى: منال، يسرى، ميرفت، آلاء، آمنة، ناديا، هيام، صفاء، زينب، لطيفة، هيفين، هدية، وإلى طلّ....

إليكنّ أفي بوعدي بكتابة حدث من الأحداث التي عشناها سوية، ونحن قابعات بين أربعة جدران وسقف.... لولا بدء الثورة السورية لما أصبح معظمنا خارج القضبان، ولولا أطفال درعا لما فرح سيزار وديانا (طفليّ) بعودتي إليهما.

«سبانخ لذيذة» عنوان لدرس في القراءة أُدرج في منهاج الصف الرابع الابتدائي، عنوان متّسق ومنسجم، أما عنوان «سبانخ سياسية»، فقد يبدو غير متسق وغير منسجم، ويحمل من الغرابة ما يحمل. فكيف للسبانخ اللذيذة أن تتحول إلى قضية، وقضية ذات طابع سياسي؟

في سوريا يمكن لذلك أن يحصل، وإليكم القصة:

المكان: الجناح السياسي في سجن عدرا المركزي- غرفة المعتقلات السياسيات.

الزمان: آواخر ٢٠١٠، موسم السبانخ، زمن الاعتقال السياسي قبيل بدايات الثورة.

بعد مرور أشهر عديدة على حرمان المعتقلات من شراء أي نوع من أنواع الخضار التي تطبخ، لم تُجدِ فيها كلّ المحاولات والمطالبات الموجهة إلى إدارة السجن، وإلى الجهات الأعلى المسؤولة عن إصدار «قوانين» بهذا الخصوص، وبعد تفاقم سوء الأوضاع الصحية لمعتقلات الغرفة، السيئة أصلاً، قررت معظم المعتقلات الاحتجاج على هذا الحرمان، واتّفقن على عدم استلام فاتورة المشتريات التي كنّ قد أوصين عليها، ما لم تكن متضمنة السبانخ. وبالفعل لم يتم استلام مواد الفاتورة رغم كل الضغوط والنصائح باستلامها، وبدأت قصة التحول.

اليوم الأول: بدء حملة تفتيش صباحية امتدت حتى المساء، تم خلالها مصادرة كل محتويات الغرفة المسموحة وغير المسموحة، ولم يتبقّ لكل معتقلة إلاّ الألبسة الخاصة بها، والتي عليها أن تضعها في أكياس سوداء وزعت خصيصاً لهذا الغرض، كلّ ذلك محاط بجوّ من الترهيب والوعيد المبطّن، مع إظهار أن التفتيش إجراء روتيني، لا علاقة له برفض استلام فاتورة المشتريات. كان العقاب جماعياً طال المعنيّات وغير المعنيّات بالموضوع.

اليوم الثاني: والأيام التي تلت، البدء بتطبيق تعليمات جديدة انتقامية، فحواها استمرار العقاب، والحرمان من استعادة أي غرض مهما كان شخصياً مما تمت مصادرته، والتدخل المباشر من قبل إدارة السجن بكل التفاصيل اليومية، بما في ذلك الإشراف المباشر على كل الاحتياجات الخاصة والشخصية، التي لا يمكن الحصول على أي منها دون موافقة، في سعي إلى توعية السجين بأنه عنصر ناقص الأهلية للتصرف بأبسط أموره الشخصية، والضغط باتجاه إشعاره بأن كل شيء يمكن أن يحصل عليه هو مكرمة لا يستحقها هذا العنصر. فملعقة الخشب التي سمح أن يؤكل بها طعام السجن بعد طول لأي، تطلّب شراؤها العديد من الإجراءات المطولة، وظلّ الطعام يؤكل بملعقة صغيرة من البلاستيك لمدة تقارب الأربعة أشهر، ريثما تم تشكيل وفد خاص وأمين لإتمام عملية شراء الملاعق الخشبية وتسليمها للمعتقلات، وذلك كله تحت الإشراف المباشر لإدارة السجن. وللأمانة والدقة، كان الحصول على ماء ساخن استثناء حصلت عليه المعتقلات في لفتة مهمة من إدارة السجن، راعت فيها وضع السجينات الأنثوي الذي يتطلب في بعض الأحيان سوائل دافئة، تخفف آلاماً قد تعاني منها السجينة.

بعد أسبوعين تقريباً، وبعد فشل كل محاولات استرجاع أي من المصادرات التي تمت، قررت المعتقلات تنفيذ إضراب جماعي عن الطعام. وما إن أعلن عن الإضراب حتى بدأت سلسلة جديدة من الإجراءات والحرمانات لم تنته.

اليوم التالي: فُتح تحقيق حول الإضراب، ومورست كل أشكال الترغيب والترهيب والتهديد بالعواقب الوخيمة، بغاية فك الإضراب والاعتراف على من حرضت على الإضراب، مع الوعود بالحصول على كل المطالب.

الأيام التالية: ١- البدء بفتح تحقيق طبي واستجواب خطي حول وضع السجينات الصحي وما يعانين منه، في محاولة لنفي أي تردّ في الأوضاع الصحية لأي سجينة، في الوقت الذي تشير فيه الوقائع الطبية من فحوصات وتحاليل طبية من أطباء السجن نفسه، إلى عكس ذلك. وأيضاً في محاولة لإثبات أن طعام السجن غذاء صحي ومتوازن وكاف، ولا يحتاج إلى أي إضافات. كل ذلك بمشاركة لجنة تحقيق طبية من أطباء ضباط ومشرفين على البرنامج الغذائي المخصص للسجناء، واحتلت السبانخ موقع الصدارة في التحقيق. وبعده بات الحديث حول السبانخ على كل لسان داخل أروقة الممرات والغرف،

بين عناصر الأمن السياسي في الجناح، فأحدهم يسأل الطبيب أثناء التحقيق أن يؤكد له معلوماته العلمية التي فكر فيها ملياً، أن لا فرق هناك بين الخضار النيئة والمطبوخة، في محاولة لإثبات ولاء يخدم هدف التحقيق، وآخر يعترف بأنه ورغم حصوله على شهادة الثانوية العامة، لم يكن يعرف أن السبانخ تحتوي على هذا القدر من الأهمية الغذائية، وآخرون يتذكرون مسلسل «باباي»، ردود الأفعال هذه كانت بالنسبة للمعتقلات، ورغم التوتر والضغط، مادة للتندر، خاصة عندما تخيلت إحداهن مدير السجن وهو يدخل منزله، بعد يوم شاق من التحقيق في قضية السبانخ، ليجد أن زوجته أعدّت له وجبة من السبانخ، فما كان منه إلا أن صرخ وفرّ خارجاً من المنزل.

٢- يتتابع الحدث بإخضاع المعتقلات الثلاث اللواتي واصلن الإضراب لليوم الثالث إلى تحليل إجباري لخضاب الدم، الذي كانت «نتيجته» بالطبع أكثر من الحد الطبيعي.

٣- محاولة إجبار المتهمة بالتحريض على الإضراب والتوقيع على تعهد خطي بعدم التدخل بأي شأن صحي أو طبي، أو القيام بأي إسعاف أولي أو أي رعاية صحية لأي من المعتقلات، وعدم التحدث معهن إلاّ في أمور شخصية لا تخص السجن على الإطلاق.

٤- محاولة فتح ضبط تحقيق أمني بغاية تحويل المتهمة بالتحريض على الإضراب إلى المحكمة، مع فيض من التهم المتضمنة مخالفة أنظمة وقوانين السجن، ليصار إلى إصدار حكم بحقها لسنوات تضاف إلى سنوات حكمها الأساسي في القضية التي اعتقلت لأجلها.

كل هذا حصل من أجل الحصول على الحق في الحصول على طعام، تحولت السبانخ بموجبه إلى قضية.

القصة بدأت ولم تنته بعد، بدأت منذ زمن طويل، منذ بداية التحكم الأسدي بكل كبيرة وصغيرة في المجتمع السوري، خارج السجون وداخلها استهدفت كل من قال «لا» استهدافاً مباشراً، وكذلك من لم يقل، استهدافاً غير مباشر بالتطويع والترويض.

في زمن الحرب على الشعب السوري، زمن الطيران الحربي وصواريخ السكود والسلاح الكيماوي، زمن الحصار والتجويع، زمن تصفية المعتقلين، قد يبدو الحديث عما سبق ترفاً بالنسبة للسّوري بشكل عام، ولما يحصل في أقبية التعذيب والسجون بشكل خاص. لكن ثمة ما يربط بين ذاك الزمن وهذا. ذاك زمن استقرار التحكم، وهذا زمن انهيار التحكم، من شرّب خَدَمَه منهجية وآلية مجابهة أبسط الحقوق البشرية، أعدّ عدته كاملة وعلى مرّ السنين، وشن حرباً لم يشهد التاريخ مثيلها، حرباً على شعب صحا من غفوة العبودية وقرر نيل حريته.

نوال السعداوي

نوال السعداوي، طبيبة، روائية وناقدة مصرية ومدافعة عن حقوق الإنسان وخصوصاً حقوق المرأة. ولدت في ٢٧ تشرين الأول عام ١٩٣٠، في مدينة القاهرة، وحصلت على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة القاهرة عام ١٩٥٤، وتخصصت بالأمراض الصدرية.

عملت عام ١٩٥٥ كطبيبة امتياز بالقصر العيني، ونتيجة آرائها وكتاباتها تم فصلها، بستة قرارات أصدرها وزير الصحة المصري آنذاك.

في السادس من أيلول/ سبتمبر ١٩٨١م تعرضت نوال السعداوي للسجن، وكان ذلك في عهد الرئيس السادات، ونفيت السعداوي خارج البلاد بسبب آرائها ومؤلفاتها، ورفعت ضدها قضايا عدة من قبل إسلاميين، مثل قضية الحسبة للتفريق بينها وبين زوجها. اتهمت السعداوي بازدرائها للأديان، ووضع اسمها على ما سمي بـ «قائمة الموت للجماعات الإسلامية»، وهددت بالموت.

في ١٢ أيار/ مايو ٢٠٠٨ م، رفضت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة إسقاط الجنسية المصرية عنها، بعد قيام أحد المحامين برفع دعوى ضدها استناداً إلى آرائها المدافعة عن حقوق المرأة، وهي التي أسست عام ١٩٨٢ جمعية تضامن المرأة العربية، التي تهتم بشؤون المرأة في العالم العربي.

صدر لنوال السعداوي أربعون كتاباً، وترجمت كتاباتها لأكثر من خمسة وثلاثين لغة. بنت السعداوي كتاباتها على فكرة أساسية تمثلت في الربط بين تحرير المرأة والإنسان من جهة، وتحرير الوطن ثقافياً واجتماعياً وسياسياً من جهة أخرى.

في التاسع عشر من أيار/ مايو ٢٠١٢ منحت السويد جائزة «ستيغ داغيرمان» الأدبية لنوال السعداوي ككاتبة وناشطة نسائية، وذلك تقديراً لمشاركتها في الثورة المصرية التي أطاحت بحسني مبارك، وأيضاً تقديراً لنتاجاتها وعملها من أجل الدفاع عن حقوق النساء في مصر والبلدان العربية.

الحمل (٢١ آذار – ٢٠ نيسان)

أنت أمام خيارات مصيرية قد تغير مجرى حياتك، الحظ حليفك خلال الفترة القادمة، فرصة لعمل أو منصب جديد.
عاطفياً تتجاوزين الارتباكات والمشاكل في فترة قريبة، فرص عاطفية واعدة بالحب والارتباط.

الثور (٢١ نيسان – ٢٠ أيار)

تبدو الفترة الحالية صعبة، تماسكي وحافظي على هدوئك في كل من العمل والعلاقات. سيطلب منك بذل جهود مضاعفة في العمل، لكنك تحصدين نتائج إيجابية.
تغيرين مكان إقامتك قريباً. أمامك فرصة كبيرة لارتباط دائم.

الجوزاء (٢١ أيار – ٢١ حزيران)

الفرصة كبيرة لتحصيل أموال كنت في انتظارها، تركة أو تعويض عمل، الفلك يدعمك لتحقيق نجاحات في العمل.
عاطفياً أنت أمام دورة فلكية واعدة وخالية من الخيبات، لقاء منتظر خلال الأيام القادمة قد يثمر وتدخلين في علاقة جدية.

السرطان (٢٢ حزيران – ٢٢ تموز)

تخضعين لتقلبات كثيرة ومفاجئة، تروي قبل خوض التجارب الجديدة وإن فاتتك بعض الفرص فهي ستعوض خلال الشهور القادمة.
المشتري في مدارك هذا العام والحظ إلى جانبك، ركزي على الأيام الخيرة من أيار فستحمل لك فرصاً للنجاح والتميز.

الأسد (٢٣ تموز – ٢٢ آب)

أخبار جيدة تصلك خلال الأيام القادمة، وإنجازات كبيرة تقلب حياتك المهنية وتحسن ظروفك المالية.
عاطفياً، لقاء استثنائي في أيار قد يتحول إلى علاقة خلال الأشهر الثلاثة القادمة.

العذراء (٢٣ آب – ٢٢ أيلول)

أنت من الموفقين خلال شهر أيار، على مستوى العمل لكن نجاحاتك مرتبطة بجهدك، يؤيدك الفلك لنيل ما تستحقين، على الصعيد العاطفي، فراغ وانعزال، حاولي استغلاله في انتظار لقاء قد يقلب الموازين لديك مع نهاية شهر أيار.

الميزان (٢٣ أيلول – ٢٢ تشرين أول)

تواجهين ضغوطاً مالية خلال هذه الفترة، أمامك فرص للتعرف على أشخاص ذوي نفوذ، تجنبي التصرفات العفوية في الفترة الحالية كي لا تفهمي بشكل خاطئ.
وعود بالحب مع حلول منتصف شهر أيار، انتبهي للعلاقة مع العائلة والانفعال في غير مكانه.

العقرب (٢٣ تشرين أول – ٢١ تشرين ثاني)

ما زلت تواجهين التعب وتتحملين مسؤولية كبيرة، تحتاجين الجرأة لاتخاذالقرارات. رغم وجود زحل في مدارك ومعاكسته لك إلا أنك تحققين إنجازات وأرباحاً مالية غير متوقعة في الفترة القادمة.
عاطفياً أنت أمام علاقة متأرجحة قد تنتهي بأن تكوني وحيدة. يعدك السفر بفرص جيدة.

القوس (٢٢ تشرين ثاني – ٢٠ كانون أول)

استعدي لانتهاء تجربة قاسية مررت بها خلال الفترة الماضية، ولدفع الحسابات وتسديد الديون، أنت بحاجة للصبر والتروي، فالفترة القادمة تحمل الكثير من العروض والخيارات والتغييرات.
احتمالات للسفر البعيد دراسة أو زواج.

الجدي (٢٠ كانون أول – ١٩ كانون ثاني)

تمرين في فترة حاسمة ومصيرية، تواجهك مشاكل قضائية لكنك تتجاوزينها، تغيرين مكان إقامتك، اهتمي بالعمل لأن النجاح به يقودك لموازنة الضغوط. استغلي نهايات أيار، فقد تخبئ لك لقاء أو علاقة، الحظ يعدك بحب مفاجئ مع نهاية الشهر ربما يتحول إلى علاقة متينة.

الدلو (٢٠ كانون ثاني – ١٨ شباط)

مازال المريخ في مدارك، وما زلت تتمتعين بالقوة، لذا عليك التأني الحذر من الدفع القوي الذي يمدك به الفلك، استفيدي من ذلك إن كنت تعملين في السياسة والشأن العام. تظهر مواهبك بقوة خلال الفترة القادمة، لكن حذار من زيادة الوزن.
عاطفياً، علاقة قديمة تعود بالصدفة.

الحوت (١٩ شباط – ٢٠ آذار)

ثقتك بنفسك عالية هذه الفترة، تتحررين من مشاكلك الصحية والمهنية وتنالين التقدير بين زملائك ومن حولك.
الفترة مناسبة للمصالحة مع الشريك، تحسن في العلاقات العائلية، تجنبي زيادة الوزن، وتهيئي لاحتمال سفر أو هجرة.

الكلمات المتقاطعة

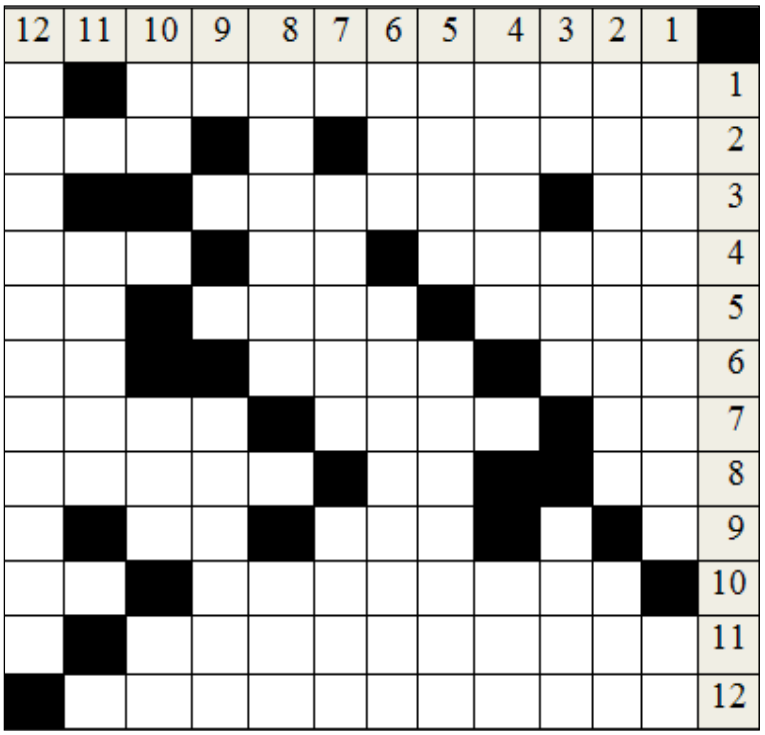

أفقي

١- عضو في الائتلاف الوطني لقوى المعارضة والثورة
٢- أكثر المعادن انتشاراً في الطبيعة- وحدة قياس
٣- حيوان بري (معكوسة)- مطار عسكري في حلب
٤- فراشك — حرف نصب (معكوسة) — جبل
٥- يغير (معكوسة)- أرجع (معكوسة)- أساس (معكوسة)
٦- ضمير منفصل- ابني- مرتفع
٧- أب بالعامية- تحمل- يلون
٨- للنهي (معكوسة)- حب (معكوسة)- شجاع
٩- يمل- صر
١٠- راديو ثوري سوري- نعم بلغة أجنبية
١١- رئيسة المركز العربي الأمريكي للترجمة والأبحاث والإعلام
١٢- رئيس سوري ترأس سورية مرتين

عامودي

١- حي في حمص(معكوسة)- أحرف من فراشة
٢- مضيق بحري- عكس أحب (معكوسة)
٣- فك (معكوسة)- والدي (معكوسة)- حوار (مبعثرة)
٤- يغطي ويستر- حرف أبجدي (معكوسة)
٥- أحد الأعضاء الأساسية في جسم الإنسان (معكوسة)- اتفاقية دولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة
٦- حواضر- مدينة محررة في دير الزور
٧- منعني (معكوسة)- عراك (معكوسة)
٨- مناخ يسود في شبه الجزيرة العربية- قاص
٩- تتمدد (معكوسة)
١٠- عكس حامض- قواقع- خاصتي (معكوسة)
١١- ضحك (معكوسة)
١٢- ناشطة ومعتقلة سورية سابقة من بداية الثورة

سودوكـــــو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب. الهدف هو ملء ال ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى التسعة دون تكرار.

					9	7	3	
5						1		
			1	3			8	9
8	6			1		9	2	
4			7	9	8			1
	9	1		6			5	4
9	1			5	3			
		2						3
	8	7	9					

كلمة السر

كلمة السر مؤلفة من ١٠ أحرف
مديرة مبادرة الإصلاح العربي

أيقظت حواسي النائمة وأنعشت حماسي الممطر ضجرا وأعدت إلي الضحك الذي عدوت خلفه طويلاً في دروب العالم ومنذ عرفتك لم تمر لحظة لم أهتف بها باسمك كما أتنفس ولم تمر دقيقة لم أكن فيها ملتهبة حماسا وعملا حتى كدت لا أجد وقتا لك أنت يا نهر الفرح جرفتني خذني إلى قاعك دعني أغرق إليك.

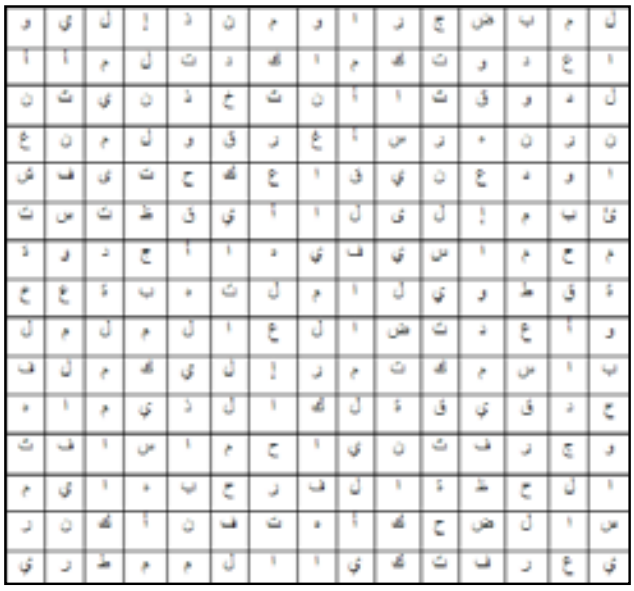

انعكاس لفسيفساء سوريا

صالـون «صبـا بردى السياسي الـثقافي» القاهرة

• نجاح سفر

- أول صالون سياسي ثقافي سوري مستقل يتم إطلاقه في العاصمة القاهرة منذ بداية الثورة.
- مشروع يـطمح لتشكيل مؤسسة مجتمع مدني تعمل في جميع الاتجاهات، لتصبح في المستقبل أساساً لقضية التعايش السلمي، وتعمل على ترسيخ مبدأ الديمقراطية ثقافة وسلوكاً وممارسة.
- لا يتبع لأي جهة سياسية تشكلت بعد قيام الثورة في الخارج، كما لا يحمل أي توجه فكري أو إيديولوجي.
- حضور نسائي مهم يكرس توجه الصالون لدعم قضايا المرأة السورية.

على الرغم من مغادرة معظم المثقفين السوريين دولة مصر، التي تضم ما يزيد عن مائتي ألف سوري، بسبب الظروف السياسية المتغيرة فيها وعدم قدرتهم على العودة إليها بعد مغادرتها، بسبب اشتراط الحصول على تأشيرة دخول باتت بحكم المستحيل هذه الأيام، على الرغم من ذلك، قامت مجموعة من المثقفين السوريين (الذين اختاروا الإقامة شبه الجبرية داخل مصر) بإطلاق «صالون صبا بردى»، وهو أول صالون سياسي ثقافي سوري مستقل يتم إطلاقه في العاصمة المصرية «القاهرة» منذ بداية الثورة السورية.

من نحن؟

أطلق القائمون على الصالون بيانهم التأسيسي، الذي شارك فيه عدد من المعارضين والكتاب السوريين المقيمين في القاهرة، مثل جبر الشوفي وكمال الطويل، العضوين في إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي، المفكر الفلسطيني سلامة كيلة، عضو هيئة التنسيق رياض درار، الروائي مصطفى سعيد والممثل محمد الأحمدية.

أصدر القائمون على صالون «صبا بردى» بياناً أوضحوا فيه تطلعاته وتوجهاته، جاء فيه «أنه مشروع يطمح لتشكيل مؤسسة مجتمع مدني تعمل في جميع الاتجاهات، لتصبح في المستقبل أساساً لقضية التعايش السلمي، وتعمل على ترسيخ مبدأ الديمقراطية ثقافة وسلوكاً وممارسة، وتقديم الخدمات والحماية والتنظيم بشكل واقعي».

يقول جبر الشوفي عضو أمانة إعلان دمشق والمشرف على هذا الصالون: «إن فكرته جاءت تلبية لضرورة جمع السوريين من جميع المشارب والأطياف السياسية والثقافية، لتشكيل بنية موحدة لسوريا المستقبل، ضمن دولة المواطنة التي يطمح إليها الجميع، والوقوف في مواجهة جميع أنوع التطرف التي تجتاح البلاد وتسير بها تجاه التقسيم».

ويتم التعويل على الصالون من منطلق الإيمان بقوة الكلمة في وجه السلاح الخارج عن السيطرة، والعمل على تحقيق معايير المواطنة ضمن مفهوم تعدد الثقافات والمعتقدات والشعائر الدينية وصونها، لذا يعمل على مد جسور التواصل مع الجميع بغض النظر عن المذهب أو الطائفة، وذلك بعدما حرم النظام السوريين خلال سنوات طويلة من حرية التفكير والتعبير، مما أثر على المنظومة الثقافية التي حاول النظام طبعها بصبغته الخاصة، حتى بات من الصعب على السوري الاستقلال في تفكيره واتخاذ قراراته الشخصية بعيداً عن الرقابة التي مارسها النظام على جميع مقومات الحياة الثقافية خلال ما يزيد عن أربعين عاماً مضت.

المشروع ليس بجديد، فقد نشأ في القاهرة قبل عام ونصف من قبل منظمة «زيتون» للمجتمع المدني، لكن التغييرات التي طرأت على حياة كثير من السوريين، اضطرت تلك المنظمة للتغيب عن الساحة السورية في مصر، ليغيب معها هذا المشروع، لكنه عاد للظهور حديثاً، وتطورت الأمور للإعلان عنه إعلامياً عبر مجموعة من الأفراد الحريصين والمؤمنين بالعمل المدني وتأثيره على مستقبل سوريا.

لا للولاءات السياسية

يتميز صالون «صبا بردى» باستقلاله السياسي والفكري، فهو لا يتبع

أي جهة سياسية تشكلت بعد قيام الثورة في الخارج، كما لا يحمل أي توجه فكري أو إيديولوجي، انطلاقاً من مبدأ مشاركة جميع أطياف المجتمع السوري، مما سيفتح الباب واسعاً لامتلاك القدرة على تقبل الآخر والتعاون معه لبناء مستقبل متصالح.

من النشاطات التي يقوم بها صالون «صبا بردى» ندوة الإثنين الأسبوعية التي تناقش باستمرار الحدث السوري، وتحرص على مشاركة الجميع على اختلاف مشاربهم، وتتجنب الأشخاص والمؤسسات الإقصائية والفاسدة، على أمل خلق شبكة علاقات مدنية نظيفة في الداخل والخارج. كما يدعم الصالون قضية المرأة السورية ومشاركتها ثقافياً وسياسياً، بالإضافة إلى تشكيل فرق عمل شبابية تطوعية من الجنسين في شتى المجالات. كما يعمل الصالون على التواصل مع الجهات السورية والعربية والدولية، والمؤسسات المدنية المعنية التي تدعم توجهاته وتطلعاته.

ولن تقتصر نشاطات الصالون على مصر، بل ستتعداها إلى محاولة التواصل مع جميع السوريين في مختلف الدول التي يتواجدون فيها وفي الداخل أيضاً، وذلك من خلال إقامة نشاطات مشابهة لما يقومون به في مصر، حيث تتجاوز مهمتهم الجانب السياسي، لتشمل الجوانب الاجتماعية والفنية والأدبية والترفيهية. وأهم ما يميز الصالون أنه يضم أفراداً من مشارب وطوائف مختلفة، تعددية تشبه فسيفساء سوريا وتعتمد على تقبل الآخر وما يجمعهم بسوريا والتفكير في مستقبلها.

نشاطات متنوعة

طور صالون «صبا بردى» سبل اتصال المشاركين عبر استخدام تقنية السكايب، حيث تم تأسيس غرفة خاصة تضم كل من يود من المثقفين والسياسيين السوريين التواصل عبر الأثير في حال تعذر وصوله إلى مقر الصالون، وكذلك من يعيش خارج القاهرة، كما حدث في الجلسة الأولى للصالون عبر مشاركة الفنانة التشكيلية السورية «منى محمود» المقيمة في باريس، حيث ساهمت برأيها في مناقشة كتاب المفكر الفلسطيني سلامة

كيلة «ثورة حقيقية/ منظور ماركسي للثورة».
كما قدم الأستاذ جبر الشوفي ندوة بعنوان «العلمانية والديمقراطية وما بينهما». وكتب الأستاذ دارم جبر حول «المشروع التغييري والمستويات الخمسة في التغيير».
أما في نهاية السنة الثالثة للثورة، فقد أقام الصالون ندوة جرت فيها مناقشة فكرة: كيف يمكننا استعادة ألق الثورة؟ جرى فيها تقييم المرحلة السابقة ومراجعة نقاط الضعف والقوة وإمكانية الخروج من حالة الإرباك والتشتت في فعاليات الثورة السياسية والعسكرية (وهو ما يصبغ المرحلة الحالية التي تعيشها الثورة)، وإيضاح الدور الهام الذي يقع على عاتق مؤسسات المجتمع المدني.

نلاحظ حضوراً جيداً للمرأة في صالون «صبا بردى»، فقد ساهمت الإعلامية سعاد خبية بمحاضرة تحت عنوان «هدنات النظام... العَلَم مقابل الطعام»، ناقشت خلالها الهدنات التي حدثت بين النظام والمعارضة والظروف التي اضطرت مناطق الهدنات للجوء إليها بسبب سياسية التجويع التي طبقها النظام على تلك المناطق. كما شاركت الإعلامية ميساء حسين بندوة حملت عنوان «الإعلام البديل، هل هو بديل حقاً؟»

بيان سياسي

أصدر الصالون أول بيان سياسي له فيما يخص مسألة ترشيح أعضاء من المعارضة أنفسهم للانتخابات الرئاسية مقابل ترشح بشار الأسد، حيث أعلن الأعضاء عن شجبهم واستنكارهم لمجرد الترويج أو التفكير بهذا الأمر، بناء على عدة نقاط أهمها اعتبارهم أن هذه الحملة خروج عن الثورة التي تقوم بالأساس على مسألة إسقاط النظام، فيما تمنحه هذه الخطوة شرعية أسقطت عنه منذ بدأ بالقتل. واعتبر قبول الترشيح من قبل أي شخص في المعارضة بمثابة منح الشرعية للنظام عبر مبدأ التعددية. كما أن تهجير ثلث الشعب السوري يسقط أي معيار من معايير الانتخابات، وبدلاً من القيام بهذه المهزلة، على قوى المعارضة العمل على تحقيق العدالة من خلال تقديم رؤوس النظام والمسؤولين عن هدر الدم السوري إلى محكمة العدل الدولية.

فصل ثلاثة وثلاثين موظفاً وحرمانهم من وظائفهم ومستحقاتهم التقاعدية في السويداء

أصدر رئيس وزراء قوات النظام قراراً منتصف نيسان ٢٠١٤، يقضي بصرف ثلاثة وثلاثين موظفاً من أبناء محافظة السويداء، من وظائفهم في دوائر ومؤسسات تابعة لحكومة النظام.

وجاء في القرار الذي حصلت سيدة سوريا على نسخة منه، أنّ الموظفين الثلاثة والثلاثين صرفوا من الخدمة وفقاً للقانون الأساسي للعاملين في الدولة رقم ٥٠ لعام ٢٠٠٤ وتعديلاته، وجاء فيه أيضاً أنّ القرار صادر عن رئاسة مجلس الوزراء وفق نص المادة ١٣٧ من القانون المذكور.

وينصّ القرار رقم ١٢٣١ على وقف صرف المستحقات التقاعدية للموظفين المصروفين من وظائفهم، في حين لم يذكر سبب صرفهم.

يذكر أنّ المادة ١٣٧ من القانون الأساسي للعاملين في الدولة رقم ٥٠ لعام ٢٠٠٤، تنصّ على أنّه يجوز بقرار من رئيس الوزراء صرف العامل في إحدى مؤسسات الدولة، بناء على اقتراح لجنة مؤلفة من وزير العدل ووزير الشؤون الاجتماعية والعمل، إضافة إلى رئيس الجهاز المركزي للرقابة المالية، وتصفى حقوق العامل المصروف من الخدمة «وفقاً للقوانين النافذة»، حسب نصّ المادة.

كذلك لا يُسمح باستخدام العامل المصروف من الخدمة بموجب هذه المادة، «مهما كانت صفة الاستخدام» إلاّ بقرار من رئيس مجلس الوزراء.

ويأتي هذا القرار بعد حركة احتجاجات شهدتها محافظة السويداء، خلال الشهر الماضي، بدأت بصدام بين رجال دين وعناصر من قوات الأمن و«الشبيحة» التابعين لقوات النظام، وتطور بعد أيام إلى مطالبة بإقالة رئيس فرع الأمن العسكري في المحافظة (وفيق ناصر)، على خلفية اعتقال رجل دين، وأسفرت الاحتجاجات عن إطلاق سراح رجل الدين المعتقل، فيما لا يزال رئيس فرع الأمن العسكري في منصبه حتى اللحظة.

ومن بين الموظفين المصروفين من عملهم، أشخاص عُرف عنهم معارضتهم للنظام أو اشتراكهم في نشاطات الحراك السلمي في المحافظة، وفق ناشطين.

٣ أيار اليوم العالمي لحرية الصحافة

الثالث من آيار/مايو هو اليوم العالمي لحرية الصحافة، ويعتبر مناسبة لتعريف الناس بالانتهاكات التي تمارسها الأنظمة الديكتاتورية على شعوبها مصادرة حقهم في التعبير، والاحتفاء بأساسيات حرية الصحافة، وتقييم مدى تحققها في مختلف أنحاء العالم، وهي كذلك مناسبة تتيح الدفاع عن وسائل الإعلام والتعبير عن تقدير الصحفيين الذين قضوا حياتهم ثمناً لعملهم في ميدان الصحافة.

وقد اختير هذا التاريخ إحياء لذكرى اعتماد إعلان ويندهوك الذي صدر عن اجتماع للصحفيين الأفريقيين نظّمته اليونسكو في في ٣ أيار/ مايو ١٩٩١ في ناميبيا، والذي نص على أنّ ضمان بيئة إعلامية حرّة ومستقلّة وقائمة على التعدّدية هو الشرط الأساسي لتحقيق حرية الصحافة، وهو كذلك شرط لضمان أمن الصحفيين خلال قيامهم بعملهم، وضمان إمكانية إجراء تحقيقات في الجرائم التي ترتكب من قبل السلطات في الميدان الصحفي عبر منع حرية الصحافة.

يذكر أن حرية التعبير هي حق أساسي من حقوق الإنسان حسب المادة /١٩/ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتي تنص على أن «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية».

لا بد من تكريس حرية التعبير على أرض الواقع وإخراجها من الحيز النظري، عبر تهيئة بيئة تنظيمية وقانونية قابلة لاحتضان قطاع إعلامي متوازن ومنفتح، ولا بد كذلك من دعم القيادات السياسية لهذا القطاع وحمايته، من خلال سن قوانين تضمن للصحفيين الحصول على المعلومات وبخاصة المعلومات في المجال العام، لتكون وسائل الإعلام هيئات رقابية حقيقية، تسهم في خلق تواصل بين المجتمع المدني والسلطة وصنّاع القرار، فلوسائل الإعلام قيمتها حين تكون مرآة للمجتمع، يرى فيها نفسه، فيحدد أهدافه ويضع استراتيجياته استناداً إلى صدق الصورة التي تعكسها.

سطور...

• مها بكر

ينقبضُ وينبسطُ
الموسلين الأزرق في سوق الحرير
يتمدّدُ ويتمدّدُ على شواطئ البحر الأسود
مبتهجاً تارةً في سوق عكاظ
ومطوياً تارةً أخرى في خزائن ولّادة بنت المستكفي
أغوت بابن زيدون وأشباه الجزر
يخافُ من الخلجان كثيراً
ولا يمضي برفقة أحد إلى الضباب
ولا غايةَ لديه تبررُ الوسيلة
زرقته بجوار زهور عباد الشمس تميلُ إلى الأخضر عند المغيب
وبجوار الأحمر معقوداً كزهور الدانتيل البنفسجيّة
في أعلى عنقها
بعزم الفراشات إلى الضوء يُنسج
وقبلَ مطلع الفجر على سرير الأرض
يُطفأ الليل كما لو أنه شمعة
تركلُ حائكته يدها وسيلفادور دالي
يُضيّع الطريق إلى البيت
تفتحُ حائكته كتاباً
تفتحُ البابَ ولا تنتظرُ أحداً
موسلينٌ أزرق، وكما لو أنه من فصيلة الدم والماء
في أصيص واحد يقضيان عطلة الصيف
ذابلاً كالحب على شرفاتي
لا يُؤمنُ بتشريح الجثث والأزهار

٢
أرتديه وقد ألتصَ بجلدي
بيمنا تزيحه شجرة الأسماء
من غوتنبرغ إلى هير فورد
من قامشلو إلى كفر جنة
فضفاضاً مريحاً
ضيّقٌ جداً ومغرّ جداً
تهدّلَ على كتفيّ
على ظهري
على ردفيّ
على ساقيّ
على الأرض
وفي الليل قالوا: إنهم رفعوا علم الثورة السورية على برج إيفل، وحمامٌ كثيرٌ حطَّ على أصابع الحائكة.
وثمة جنودٌ من البوليس الفرنسي بحثوا
عن خوذة الجنرال غورو التي خسرها في حربه على دمشق لتُهدى لأمهات منفيات
يهززن بها ضمير العالم، ومهد السيد المسيح، يبكينَ و يضحكنَ كما الجوكندا
ويزحف الموسلين الأزرق من القطب الشمالي إلى القارة الأفريقية مروراً بالعاصي والفرات دافئاً وحنوناً. خطّته شاعرة كردية، والريح تبسطُ ذراعيها على سيقان الريحان من أول المساء، حينما قرأت لهم أمي سورة الحياة، قالت لها:
سنسقي يا بُنيتي المجاز الكردي و زهورهم
نعوّل على تأويل ابن عربي في شؤون الحب، ونكون معاً بُناة اللغة والدم والرغيف

نتركُ المهمة الأجمل للسريان الأرمن للآشوريين القدامى، وكل أطياف الموسلين ليخرجوا السنة من سوق الشيعة، والشيعة من سوق السنّة، و نكذب على الصغار في كتب التاريخ التي خطّها الأقوياء بحبر الخديعة، ربما الحسين عليه السلام قد اختارَ نهايته المأساوية، بمحض إرادته، حينما كذّبَ حدس العطش، وثق بيزيد ابن معاوية، كما وثقنا بصكوك الغفران، للطاغية وحاشيته

عاشت صاحبة الجلالة، حائكة الموسلين مع أمي، سنة كاملة، ثلاثمائة وخمس وستين يوماً، لا ينقصها يومٌ واحدٌ، ناموا على الشرفة نفسها، وربما السرير نفسه، شربوا معاً القهوة و قهر الأبناء.
ربما مسكت بيد أمي، و هي تعبر التاريخ، وأوتستراد السريان، أمي الخائفة من كل شئ، منذُ أن اعتقلَ رجال الأمن ابن جارنا سردار، مرةً، بتهمة الانتماء إلى الأخوان المسلمين، ومرةً أخرى بتهمة الانتماء إلى حزب العمل الشيوعي، هاجروا إلى كندا، وهجّرها الحب، إلى زمهرير الحدائق الأسكندنافية، لم يبيعوا البيت، وبقي البابُ
حتى الآن، مغلقاً ذكرياتهم، تُعرّشُ كاللبلاب، على حيطان الجيران
ساحرةٌ هي فكرة الاستطراد في الكتابة، كلّما تعبتُ من علامات التنقيط أعيدني من الألم
وأنا أزفره غصةً غصة، فلا بأس، وفي كل برهة يشيعونَ شهيداً أن أقضمَ بعض سيقان البقدونس، وأنثرُ هنا وهناك بعضاً من مآثر شقيقتي النسّاجة، وهي تستندُ على كتفي، ومسامير النول
منعشٌ كالمديح
كأشجار الغريبة وقهوة كثيرة الهال
ارتدته نفرتيتي أيضاً حينما ودّعها أهلها
ظنها الفراعنة للوهلة الأولى من كفر جنة
صديقة زهر العسل في الليل
صديقة الخشب الغامض للمصطاب الملولة
ارتدته أيضاً زوجات الأئمة المتصوّفة وهم يُعدّون علوم الفقه واللغة والنباتات الشريدة في أيلول
الإيزيديات الأمازيغيات بدويات الغمر وتاجرت به كل القبائل الكردية التي بقيت عالقة بين الجهات التي تشكُّ بالشمال حتى الآن، وتطالب بالحرية، في الساحات البيضاء، والمعتمة.

خاتمها ذو الفص الأسود الكريم الطيّع كالأبدية
حزينٌ قليلاً كالموسلين
الذي يُضيفُ للأزرق رجفة يديَّ
وأنا أهديها حدائق بابل
ورقّة الوعل الجريح

المحرقة السورية

• ابتسام تريسي

أنا ذلك الرضيع في منتصف الصورة
ليست أمّي من حملني ووضعني تحت الشجرة.. ليست هي التي تصعد الآن لتقطف ثمار التوت..
لا أعرف إن كانت سمعت صوت صراخي فردّت بمثله!.. إنّها تصرخ في البعيد.. هي أيضاً تبكي!!
القمامة تحيط بي.
يد قاسية تنتزع ملابسي.
سكين تنتزع أعضائي..
ونار تلتهم أسفل جسدي.. لا أعرف نوع الألم ولا تسميته.. أريد أمّي..
أريد إيقاف هذه النار المخيفة.. أريدها أن توقف هذا الألم بابتسامتها..
أبحث عن يدها ولا أسمع سوى صدى قهقهاتهم وبكائي!

المحرقة السورية .. بانياس .. البيضا ..
الخميس / ٩ أيار/ ٢٠١٣
أنا تلك المرأة النائمة بهدوء على يسار الصورة..
لن تستطيعوا النظر في عينيّ، فقد انطفأت عيونكم إلى الأبد.. لكنّي ما أزال أبصرُ أبعدَ من الفضاء الذي تطلّ عليه شجرة التوت!
لم يكن جسدي المدّمى يعنيني.. ولا سكينه الحادّ الذي سلخ قطعة من جلدي ببرود ليضع فيها تبغه المفروم، يلفها، ويشعلها من اللهيب المتصاعد من أجساد عائلتي... ثمّ يضع سلاحه جانباً.. ويدخّن بهدوء وهو يتأمل سماء البلدة الصافية، والسهول الممتدة أسفل الجبال.. ويبتسم لشيء لا أعرفه!
كلّ ذلك لم يكن يعنيني، فروحي التي تعثرت بغصن يابس من شجرتي، كانت تدرك أثناء صعودها، أنّ يده الصغيرة الممدّودة إلى ثوبي طالبة النجدة هي السبب في تأجيج الألم واستعاره، ورجوع صوتي ليصرخ بعد الموت بكلّ قوته «اتركوا طفلي.. فهو لا ذنب له في أحقادكم!».
روحي العالقة هناك رأت كلّ شيء.. لكنّها كانت عاجزة عن إدراك يده الممدودة باستغاثة، ستبقى محرقتي الأزلية.
لا تؤذوا أعينكم بالنظر إلى بقايا جسدي المتفحم هناك على يسار الصورة ما بعد المحرقة..
ارفعوا رؤوسكم.. حدّقوا في الفضاء جيداً.. ربّما تدركون صرختي.. وتساعدونني على إدراكه قبل أن يمتد الحريق إلى حنجرته، ويختفي صوته إلى الأبد!.

الجمعة /١٠ / أيار / ٢٠١٣
أنا البنت ذات الابتسامة الساحرة، أتوسط إخوتي في عمق الصورة..
لماذا أرى الدهشة على وجوهكم؟ أنا لا أكذب.. كلُّ مَن يراني كان يقول لأمّي: أجمل مافيّ ابتسامتي. أنتم لا تصدقون؟ أخي سهيل كان يشدّني من ضفيرتي كي تبدو تكشيرة الألم على ملامحي، فأبدو قبيحة!
أنتم تروني الآن وشعري منكوش، وملابسي ملطخة بالدم! ادخلوا بيتنا، هناك في درج الخزانة في زاوية غرفة النوم خبّأت أمّي صوري الجميلة.. بأثوابي الملونة وضفائري الطويلة بشرائط نظيفة لامعة.
هناك أيضاً خبّأت حقيبتي.. وفيها جلائي المدرسي، كلّه عشرات.. وفيه مرحى، الآنسة أعطتني إياها لأنّي مهذبة و«شاطرة» ولا أثير الضوضاء في الصّف.
الآنسة أخبرت أمّي أنّها ستنقلني إلى الصف الثاني مباشرة، لأنّي متفوقة في جميع المواد.. وقالت لها أيضاً أني سوف أصبح أجمل رسامة عندما أكبر..
القناص لم يمهلني حتّى أصل إلى البيت لترى أمّي هدية معلمتي..
أرسل حقده إلى قلبي..
فأغرق دمي دميتي البيضاء!

أنا الفتى الوحيد في الصورة..
هرب الجميع وتركوني وحدي، التجأت إلى الجدار، لكنّه لم يحجبني عن عيون قاتلي!
حلفت له بكلّ المقدسات، وبأسماء الله الحسنى أنّي لم أقصد الفوز على ابنه في اللعب، لكنّه لم يتوقف عن التقدم نحوي وهو يرفع سيفه في وجهي!..
رجوته أن يمهلني قليلاً حتّى يأتي أبي، ويشهد أنّي صادق ولن أعود للعب ثانية.. مددت يدي لأخلع قميص «برشلونة»، قلت له إنّي سأشجع «ريال مدريد».. وسأبقى لاعب احتياط، ولن أتجرأ مرّة أخرى على إدخال هدف في مرمى ابنه.. لكنّه تابع تقدمه ورائحة أنفاسه الكريهة تخنقني، ويده تدفعني إلى الأرض وسيفه يعلو في الهواء.. ويسقط...
تهاوت كلّ الجدران.. السماء تصدّعت.. الشّباك تمزقت.. والكرة تدحرجت في الهاوية!
أين؟ لم أعد أرى شيئاً في تلك اللحظة .. لكنّي تمنيت لو سمعني فقط..
لو انتظر أبي.. لو أمهلني حتّى أبدّل ملابسي، وأغسل غبار اللعب عن وجهي!
لو انتظر لحظات.. ربّما سمع صوت ابنه يحلف أيضاً بكلّ المقدسات وأسماء الله الحسنى.. أنّي أدخلتُ الهدف في مرماه بالصدفة!.

الجمعة /١٠/ أيار
المحرقة السورية .. بانياس .. البيضا ..
أنا تلك الطفلة الغارقة باخضرار الزرع من حولي.. وحيدة وسط الصورة!
أمي ألبستني المعطف الأبيض الجديد فقط لأجل الصورة! قالت إنّه كبير قليلاً، ستلبسني إياه في العام القادم..
أختي أحضرت لي لعبة جميلة.. وملاقط شعر..
أنا أحبّ أمّي جداً.. وأحبّ أختي الكبيرة التي تسافر كثيراً ولا نراها إلاّ قليلاً!

أنا أحبّ اللعب.. أحبّ الحياة..
أبي قال: «ابتسمي للصورة»
أخي قال: «قولي لي وداعاً»
أنا ..
ابتسمت للحياة...
وقلت لها وداعاً!

المحرقة السورية .. رأس النبع
الثلاثاء /١٤ أيار / ٢٠١٣
أنا البنت المشاكسة على يسار الصورة..
أمّي تصرُّ دائماً أن أرتدي ثوب العيد، وأضع على شعري ملاقط كي أبدو جميلة في الصورة.. ولكنّي أكره أن أظهر مختلفة عن إخوتي بل أريد أن أكون مثلهم تماماً..
أخي الصغير لا يحتاج إلى بذل أي جهد كي يدخل قلوب الآخرين مثلنا.. فهو ذكي وهادئ.. والأهم من ذلك «صبي».
أختي الواثقة من نفسها تعرف أنّني مهما شددت جسدي، وتطاولت كي أبدو مثلها فسأبقى أقصر منها!
أبي قال لنا: من منكم سيرفع إشارة النصر عندما تزول العصابة وتعود سوريا حرّة؟
تسابقنا كلّنا لرفع إشارة النصر.. أسرعت في رفع ذراعيّ، وقفت على رؤوس أصابعي.. نظرتُ إليهم ..
كلّهم سبقوني إلى الجنة!
الأربعاء / ١٥ أيار /٢٠١٣

أنا عبود ..
أكيد عرفتموني.. أنا الذكر الوحيد في الصورة!..
أمّي تفتخر بي دائماً أمام جاراتها، وتقول: «عبود أوّل فرحتي» وعندما يمازحنها متسائلات: «وغزل ومنى»؟ كانت تغمز بعينها وتقول: «عبود غير، عبود رجّال البيت، هو اللي رح يشيل كبرتي، بكرة بيكبر وبيصير دكتور، وبيداويني لما أمرض.. ما باكل هم السكري ولا الضغط.. وبشوف ولاده عم يلعبوا حولي.. يارب تنولني مرادي، وعيش وشوف ها اليوم».
جاراتنا كنّ يضحكن وهنّ يقلبن فناجين القهوة، ويقلن لأمّي: «هاتي قولي لنا ماذا ترين في الفنجان؟ فنجان عبود!».
أمّي كانت تشرب القهوة، وتنوي أنّ الفنجان لي! تقرأ فيه مستقبلي المشرق، دائما تكرّر الكلام نفسه: «عبود جاء ليضيء الدّنيا لي، أراه يحمل مصباحاً.. أراه يحمل شعلة كبيرة.. تزيل كلّ العتمة.. عبود يسير في طريق طويل آخره طاقة نور هائلة»..
أمّي..
يا أمّ عبود .. أراك بعيني روحي تركضين خلفي في الدرب النوراني المفتوح على الجنة!.. أسرعي يا أمّ عبود.. أسرعي يا أمّي.. فقد سبقتني غزل ومنى!

وحيداً رحلت

• د. منذر عياشي

وحيداً ... رحلت
مثل عصا حارس غابةٍ
يهش بها
على أعجاز ذئب
عظيم الدهاء
* * *

وحيداً فوق انتشار الدروبِ
أسدد خطوي
فأردي به ارتباكي وخوفي
وأتركهما ورائي
بقايا زمان يتلاشى فوق شطآن
السفر المعتق
والغربة
* * *

وحيداً أسير
راسماً مجهولي، وثقتي
وصوري
على مرايا القدر
وصدى رياح الفقر التائه
* * *

وحيداً سأمضي
مثل معرفتي، وكرامتي
مثل حريتي، وإرادتي،
مثل حبي ودمعتي
* * *

وحيداً كنت
وحيداً سأبقى
كنخلة عز
لا أنحني إلا لوجنة زهرٍ
وبسمة أم
تتلألأ في عيون الصغار
لا أنحني إلا
لانسكاب الفرح الأسمر
ولذيذ التمر العربي
يذوب
في شفاه الأمل
* *

اليوم والبارحة وغداً

• علاء الدين زيات

فيما البلاد تعيد رسم الخرائط والأماكن، كنهر يتلوى يميناً وشمالاً، وبينما الأفق ضنين لا يشي باحتمالات غير الانتظار، تجلس الأمهات، كل الأمهات كجبل الإسفنج، يختزن المرارة والخذلان بشيء من صمت وصبر ولوعة.

على مدى تاريخها الباهر العاثر، أمُّنا سوريا تعصب رأسها مرة بكوفية الرجال، وتفلت شعرها مرات بانفلات ألمها، تحار كيف تخبر القصة، وعبر أية بوابة توصل إلينا الكلمات المعجونة قهراً.

البارحة/ نيسان:

ذكريات الجمهورية الأولى، أمهات بلدي قرنفلاتها الأكثر شذى، ماضيات في شغل كل المهام، بصمت الذي وجد نفسه مطلوباً للنداء الأم، للبيت صمامه الذي يرتكز له الجميع، وفي غياب الأحبة من أخ وابن وأب وزوج احتمال الفاجعة، وعدم التهيب من حمل المهمتين أم وأب، وفي الدعم والتدعيم قدمن بلا كلل بين رضاعة الصغار وانتهاءً بتبنّي الحياة الجديدة المشرقة حيث تنتفي من وجه البلاد ظلامات الغزاة.

لم تكن أمّنا سوريا وأمهاتنا سيدات سوريا في تلك اللحظات سوى جبل الإسفنج ذاته، حيث ترتمي على أقدامهن كل الآلام، والجبل يمتص ويختزن ويخفف من ارتطام المجتمع بوقائع محاولاته لفك بعض قيوده.

كانت صبرنا واحتمالنا وبقيت، وحين يعيد المجتمع جدولة بنيه مع كل منعطف حاد يكون قدرها كل مرة الغياب، لكأنما من يحترف الإنجاز بلا ضحيج هو الأكثر خذلاناً، أي ظلم نلنه هناك حيث كان الانعتاق بمضمونه العميق يعني فك الارتباط كلياً بكل الأصفاد، ولكنها البارحة لم تبلغ مداها بعد. كان ذلك فيما يعنيه أنها جولتها الأولى.

اليوم/ نيسان:

وقائع الجمهورية الثانية، أمهات بلدي وبلسمها ولفائف ضمادها البيضاء، هذا المغزل الذي لا يكل عن الدوران وصناعة خيوط الحياة، باقون على عهدهن في شغل الدور بصمت وصبر، عاد الظلم ليكون محرك الأقفال، لكأنما بربرية كبرى تناسلت شوكاً كان وافداً مزنراً بجشعه وتفوقه وخدعة حضارته البارحة، ليصير محلياً خشناً محمولاً على «ظلم ذوي القربى» اليوم.

وبين أمهات أطفال درعا، وأمهات الأم سوريا تفيض الطاقة المختزنة لنساء لم يقفوا على احتمال حدود الفجيعة، بل بقوا جبل الإسفنج الذي يمتص آلامنا ويكونوا مسند رأسنا باتكائه وحلمه.

أمهات وزوجات، مناضلات ومجتهدات موثقات وصانعات فرح، صابرات وداعمات ومبتكرات، بأسماء وبلا أسماء لم تكن ممكنة مقارعة الظلم بنموذجه الخشن المر دون زينب ومريم وأمل وسميرة ورزان، لم تكن ممكنة صناعة قلب آخر لسوريا يضخ تيارات المحبة دونك أنت سيدة العطاء، وحين يعيد المجتمع جدولة بنيه عليك التأكد من جديد أن ذاكرته خائبة وعليك رفض عقوقه المتكرر كل مرة، ما عاد يليق بنا ولا بك أن تكوني مفتاح أقفالنا صباحاً، وأسيرة قيدنا الذهني ليلاً. وربما ذلك فيما يعنيه أنها جولتك الثانية.

غداً/ نيسان:

وحدهم الساهرون والساهرات السائرون الثائرون والثائرات، رسامو ملاحمنا الجديدة، الخطابات بفؤوسهن الذكية وهن يشذبن أشجار وعينا بأناة جراحي العين، المسكونون بوفاء الابن واشتياق الزوج ومودة الأخ، قادرات بلاشك على شبك حياة أخرى، حيث لجبل الإسفنج الغارق بالعطاء محجَّهُ الجديد وأفقه المتبدل.

هل ثمة محتوى اجتماعي للحدث السوري واحدة من واجهاته الأبرز قضية نساء سوريا؟

هل ثمة من يشكك بذلك ؟

يمكنني أن أورد بثقة أن لا مخارج آمنة غداً دون ذلك، فليس أسوأ من تأجيل الحقوق والتلاعب بالأولويات إلا الادعاء أن هذه القضية المؤجلة لعقود ليست ملحة بما يكفي للدفع بها إلى الواجهة.

سيدة سوريا.. سيدتنا سوريا.. بوابتك عتقنا. ولنتحضر للجولة الثالثة من الجمهورية الثالثة.

بوتفليقة مرشح لولاية رابعة
4
3
2
1

محجوز

الفاتحة

RE ELECT
Assad 2014
This War Needs a Fresh Start

إنتخبو سيادة الرئيس

موديل سوري
موديل جزائري
موديل مصري
موديل ليبي

انتخابات
2014

2011